المنار

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الاول

سنة ١٣١٥ وسنة ١٣١٦

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صاغاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ١٨ فرنكاً
و١٥ شلناً في الهند و٧ روابل في روسيا والدفع سلفا

﴿ حقوق إعادة الطبع والترجمة للكل أو البعض محفوظة لمنشيء المجلة ﴾

الطبعة الثانية سنة ١٣٢٧

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلة المنار

مجلة شهرية تبحث فى فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران

أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا عام ١٣١٥ هـ ، وظلت تصدر حتى عام ١٣٥٤هـ، ولقد كان الغرض من إنشاء هذه المجلة مسائل كثيرة يجمعها الإصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الإسلامية هى ومن يعيش معها ، وتتصل مصالحه بمصالحها ، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل ، وموافقته لصالح البشر فى كل قطر وكل عصر ، وإبطال ما يرد من الشبهات عليه ، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه ، وهو عمل قد ملأ فى عالم الصحافة الشرقية فراغا ، وأشرع لطلاب الارتقاء من الأمة منهاجا ، كان المنار فيه ـ سراجا وهاجا ـ ظهر على شدة حاجة الأمة إليه .

واستخلاصا مما تقدم .

وبالإضافة إليه فقد نهجت « المنار » منهجا إسلاميا يتضح فيما يلى :

١ ـ إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات :

وفى هذا المجال نجد العديد من الموضوعات التى تصحح العقيدة وتحارب البدع والخرافات ، والتى منها على سبيل المثال : « بدع رجب » ، و« تكفير المسلم »، و«الحديث الموضوع » ، و « الدين : تعريفه وغايته » ، و « فهم الدين » ، و « منكرات الموالد » وغيرها كثير .

٢ ـ التربية والتعليم :

فلايكاد يخلو عدد من « المنار » من مقال فى إصلاح التربية والتعليم ، تمشيا مع رأى الإمام محمد عبده : إن التربية تصنع الرجال ، والرجال هم الذين يصنعون كل شىء .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ ـ قضية اللغة العربية :

فقد تصدى الشيخ رشيد رضا لمن يدعون إلى استخدام العامية بدلا من الفصحى وكتابتها ـ العامية ـ بحروف لاتينية .

٤ ـ موقف المنار من الحضارة الغربية :

وقد تمثل منهجها فى اتجاهين :

الأول : أن تساير البلاد الإسلامية أوربا فيما تفوقت فيه فى مجال العلوم الحديثة والصناعات والاختراعات .

الثانى : إعلان حرب لاهوادة فيها على ما اقترن بدخول الأوربيين البلاد الإسلامية ، من الانحلال الخلقى والعادات الضارة .

لماذا إعادة الطبع للمنار ؟

لقد قال بعض أهل الرأى والعلم بشئون الاجتماع ـ وقت صدور المنار ـ : إن هذا «المنار» لا يستغنى عنه بيت من بيوت المسلمين ، فإن لم يفقهوا هذا اليوم ، فسيفقهونه فى يوم ما ، وقد اتفق رجلان فى كلمة حددا بها الأجل لذلك اليوم المجهول ، أحدهما إنجليزى كان يقرأ له « المنار » محمود سامى البارودى ، و الآخر سورى من قرائه ، قالا كلمتهما التى تواردت عليها خواطرهما ، ولا تعارف بينهما ، قالا : إن المسلمين سيبحثون عن هذا « المنار » ويعنون بإعادة طبعه بعد خمسين سنة .

وها نحن هؤلاء إيمانا منا بهذه المقولة ، ولاشتداد حاجة المسلمين لهذه المجلة ، نعيد طباعتها فى ثوب قشيب وتجليد فاخر فى أربعة وثلاثين مجلداً ، مع العلم أننا حذفنا التفسير من المجلة لوجوده مستقلا فى تفسير المنار .

تطلب المجلة من :

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ـ شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠ ـ ص . ب : ٢٣٠ ـ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة الطبعة الثانية

﴿ للمجلد الأول من المنار ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، الذي جعل إرادة بعض عباده ، من أسباب انفاذ مراده ، فهم بقوة الارادة يمتازون ، وبحسن توجيهها للمرادات يتفاضلون ، فلولا الارادة الانسانية العجيبة لما أشرقت شموس العلوم والعرفان ، ولولاها لما ظهرت ثمراتها العملية في الاكوان ، والصلاة والسلام على أفضل مريد ومراد ، وأكمل مظهر للمشيئة الالهية في العباد ، سيد المصلحين ، وخاتم النبيين والمرسلين ، المرسل وهو الأمي ليعلم الأميين والمتعلمين ، والمبعوث وهو العربي الى جميع العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المتقين ، ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين

أما بعد فقد أنشأنا هذا « المنار » في العشر الأخير من شهر شوال سنة ١٣١٥ وبينا غرضنا منه في الصحيفة الأولى من صحفه وهو مسائل

كثيرة يجمعها الاصلاح الديني والاجتماعي لامتنا الاسلامية هي ومن يعيش معها، وتتصل مصالحه بمصالحها، وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل، وموافقته لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر، وابطال ما يورد من الشبهات عليه، وتفنيد ما يعزى من الخرافات اليه، وهو عمل قد ملأ في عالم الصحافة الشرقية فراغا، وأشرع لطلاب الارتقاء من الامة منهاجا، كان «المنار» فيه — على رأيهم — سراجا وهاجا، ظهر على شدة حاجة الامة اليه، واستعداد هذا القطر لظهور مثله فيه، ولكنه على هذا وذاك بدا كالاسلام غريبا، وممقوتا من السواد الاعظم لا محبوبا، يعشي نوره خفافيش البدع والخرافات، الذين ألفوا تلك الظلمات، حتى قال لنا خاتمة شيوخنا الاستاذ الامام: ان الحق يظهر في المنار عريانا في الغالب ليس عليه شيء من الحلي والحلل التي تجذب اليه أنظار من لم يألفوا الحق لذاته، وكتب الينا أول شيوخنا الشيخ حسين الجسر في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣١٥ ما نصه جوابا عن كتاب:

«وصلني كتابكم الكريم بعد مضي أشهر من وصولكم لمصر معتذرا عن تأخره فقبلت العذر ودعوت لكم بالتوفيق، وأعقب وصوله ظهور المنار ساطعا بأنوار غريبة مرغوبة الا انها مؤلفة من أشعة قوية كادت تذهب بالابصار» الى آخر ما كتبه وفيه انتقاد لبعض المسائل اجبناه عنها، مبينين له ما عندنا من الحجج عليها، وانباء بمقاومة الحكومة العثمانية للمنار، وكان ذلك كما قال

انني لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الاقران، وأباري به أعلياء الشان، بل لانه فرض من الفروض يرجى النفع من اقامته، وتأثم

الامة كلها بتركه ، فلم أكن أبالي بشيء الا قول الحق والدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكنت ان أصبت هذا بحسب علمي واجتهادي فسيان رضي الناس أم سخطوا ، مدحوا أم ذموا ، قبلوا المنار أم رفضوا ،

طبعت من الصحف الاولى ألفا وخمس مئة نسخة من كل عدد وأرسلت أكثرها الى من عرفت أسماءهم في البلاد المصرية والسورية وكذا في غيرها من البلاد (وهو الاقل) فأعيد الي أكثر ما أرسلته الى المصريين ، وما نشبت الحكومة الحميدية أن منعت ما يرسل الى السوريين وسائر العثمانيين ، ثم جعلت عدد المطبوع ألف نسخة ولكن مرت السنة وسنتان بعدها وما كاد المشتركون يزيدون على ثلث الالف الا قليلا

ما كان انتقاص عملي ، منتقصا شيئا من أملي ، ولا زهد الامة في المنار ، باعثا على جعله طعاما للنار ، ولا لفائف لبضائع التجار ، كما هي سنة أصحاب الصحف في هذه الديار ، [1] بل كنت أحرص عليه ، حاسبا ان الناس سيعودون اليه ،

وكان يمدني في أملي هذا ما أسمعه من بعض أهل الرأي ، والعلم بشؤون الاجتماع ، من القول بأن هذا المنار حاجة من الحاج الطبيعية للمسلمين في هذا العصر ، لا يستغني عنه بيت من البيوت ، فان لم يفقهوه هذا اليوم ، فسيفقهونه في يوم ما ، وقد اتفق رجلان من غير المسلمين في كلمة حددا بها الاجل لذلك اليوم المجهول ، أحدهما انكليزي كان يقرأ له

(١) يبيع أصحاب الصحف ما زاد عن حاجة المشتركين والمبتاعين من صحفهم الى التجار وأصحاب الاقران

المنار محمود سامي باشا البارودي والآخر سوري من قرائه ، قالا كلمتهما ، التي تواردت عليها خواطرهما ، ولا تعارف بينهما ، قالا ان المسلمين سيبحثون عن هـذا المنار ويعنون باعادة طبعه بعد خمسين سـنة . وان أدري أكانا يظنان حين قالا كلمتهما ان المسلمين لا يستيقظون لطلب هذا الاصلاح الا بعد خمسين سنة ، أم كانا يعنيان ان المنار لا بد ان يكون قد بطل في هذه المدة بموت صاحبه أو عجزه ، فيبحث الناس عنه لأنهم في الغالب لا يعرفون قيمة الشيء الا بفقده ، ولا يعترفون بقدر العامل الا من بعده ، ؟

لعل المسلمين خير مما ظنا فيهم ، ولعل الاجل الذي ضرباه أقرب مما حدده رأيهما ، فها نحن أولاء قد أعـدنا طبع مجموعة السنة الاولى ، ويوشك أن نعيد طبع الثانية والثالثة أيضا فقد قلت نسخهما ، وغلا ثمنهما ،

كانت السنة الخامسة للمنار (سنة ١٣٢٠) مبدأ رواجه وسعة انتشاره فمنذ ذلك العهد صار بعض طلاب الاشتراك يطلبون مجموعات السنين الماضية ، كما يطلبها بعض المشتركين السابقين رغبة في حفظ المنار من أوله ، وضنًّا به ان يضيع شيء منه ، حتى اذا قلت مجموعات السنة الاولى رفعت الادارة ثمنها حتى صارت تباع المجموعة الكاملة من تلك السنة بمئتي قرش ، اي بأربعة اضعاف ثمنها الاصلي ، وبيعت المجموعة الناقصة بضعفة اعدادا أكثر الى ١٢ و١٣ عددا بمئة قرش ولما لم يبق عندنا مجموعة معدة للبيع إلا وهي ناقصة اكثر من ١٥ عددا ، وكثر الطلب واقترح علينا إعادة طبع السنة كلها ، شرعنا في طبعها في النصف الاول من سنة ١٣٢٥ وهي السنة العاشرة وقد تم الطبع في النصف الاول من هذه السنة وهي السنة الثانية عشرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان المنار في السنة الاولى من عمره جريدة اسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة وكنا ننشر فيه برقيات الاسبوع وبعض الاخبار التي ليست كلها ذات فائدة تحفظ وتدخر وان لم تخل من فائدة في وقت نشرها لبعض القراء . وقد اعدنا طبعه بشكل المجلة التي هي عليه منذ السنة الثانية ولم نحذف منه الا البرقيات وبعض الاخبار التي لا فائدة في تدوينها وحفظها ، واما الاخبار التي فيها عبرة دائمة أو فائدة تاريخية أو غير تاريخية فقد أبقيناها ، وحذفنا منه ايضا نبذ رسالة « قليل من الحقائق عن تركيا » المترجمة عن الانكليزية لقلة الثقة باخبارها . وسندقق النظر فيها فان وجدناها حرية بالحفظ والتخليد أثبتنا ما حذفناه من السنة الأولى في الطبعة الثانية للسنة الثانية متصلا ببقيته فيها ، والا حذفنا باقيها من طبعة السنة الثانية ايضا ، ومع هذا جاء المجلد الاول في حجم المجلدات الاخيرة يناهز الف صفحة

طبعنا اعداد السنة على ترتيب الاصل فمن أراد أن يقرأ المقالات المتسلسلة في موضوع واحد (كالمقالات التي عنوانها : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) متصلة فالفهرس يجمع له متفرقها بسهولة . وقد اشرنا الى اوائل الأعداد في الهامش عند المقالات الافتتاحية وفي أعلى الصفحات كما هو ظاهر

***

المنار في سنته الاولى والمنار في سنيه الاخيرة شرع ، ولو جاز لي أن أضرب له مثلا شرودا يشعر بالمدح ، لقلت « والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل » ، نعم لا فصل بين اوله وآخره ، في موضوعه وغايته ومسائله ، ولكنا كنا نكثر في السنة الاولى من الخطابيات ، لتنبيه الاذهان وإعدادها لما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هوآت، ونكتفي في اكثر المسائل بالإجمال، لتهيأ النفوس لطلب التفصيل، وقلما جرينا فيها على شيء ثم تبين لنا خطأنا فيه الا ما اشرنا اليه في هوامش هذه الطبعة واكثره في المسائل السياسية، المتعلقة بحال الدولة العلية، ومن البديهي أننا ازددنا علما وخُبرا في جميع المسائل بطول البحث والتمحيص والوقوف على آراء الناس وأحوالهم

قد اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل، وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الحكيم، فان اكثر السور المكية لاسيما المنزلة في اوائل البعثة قوارع تصخُّ الجنان، وتصدع الوجدان، وتفزع القلوب الى استشعار الخوف، وتدعُّ العقول الى اطالة الفكر، في الخطبين الغائب والعتيد، والخطرين القريب والبعيد، وهما عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال، او الفتح الذاهب بالاستقلال، وعذاب الآخرة وهو اشد واقوى، وأنكى وأخزى، بكل من هذا وذاك أنذرت السور المكية اولئك المخاطبين اذا أصروا على شركهم، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وافكهم، ويأخذوا بتلك الاصول المجملة، التي هي الحنيفية السمحة السهلة، وليست بالشيء الذي ينكره العقل، او يستثقله الطبع، وانما ذلك تقليد الآباء والأجداد، يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد،

راجع تلك السور العزيزة لاسيما قصار المفصل منها كالحاقه ما الحاقة، والقارعة ما القارعة، واذا وقعت الواقعة، واذا الشمس كُوِّرت، واذا السماء انفطرت، واذا السماء انشقت، واذا زُلزلت الارض زلزالها، والذاريات ذروا، والمرسلات عرفا، والنازعات غرقا،

تلك السور التي كانت بنذرها، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفزعهم من سماع القرآن ، حتى يفروا من الداعي (ص) من مكان الى مكان (٧٤: ٥٠ كأنهم حُمُرٌ مستنفرة ٥١ فرّت من قَسْوَرَةٍ ، ٩١: ٥ ألا إنهم يَثْنُونَ صدورهم ليستخفوا منه ، ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يُسرُّون وما يعلنون) ثم ارجع الى السور المكية الطوال ، فلا تجدها تخرج في الأوامر والنواهي عن حد الاجمال ، كقوله عز وجل (١٧: ٢٣ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) — الى ٣٧ منها ، وقوله بعد اباحة الزينة وانكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

تدبر هذا ثم أجل طرفك في فاتحة المنار الأولى وفي اكثر المقالات الافتتاحية [1] تجدها زواجر منبهة ، وبينات في الاصلاح مجملة ، ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم ، وتنذرهم الخطر المهدد لهم في استقبالهم ، وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين ، وما أضاعوا من مجد آبائهم الاولين ، وتزعجهم إلى استردادما فقدوا ، وايجاد مالم يجدوا ، بطريق الاجمال ، في أكثر الاقوال ، وما جاء في سائر السنين فهو من قبيل التفصيل ، أو اقامة البرهان والدليل ، على تلك الدعوة الاجمالية ، والمقالات

---

(١) راجع مقالات القول الفصل ص ٣١ وصيحة حق ص ٢١٧ والمدارس الوطنية ٢٥٦ والى اي تربية وتعليم نحن احوج ٢٧٨ والجيوش الغربية المعنوية في الفتوحات الشرقية ٢٩١ والعلم والحرب ٣٤١ والسلطتان الروحية والسياسية ٤٠٤ والمقالات المفتتحة بالآيات في ص ٥٨٥ و ٦٠٦ وما يتبعها ومقالات الاصلاح الديني والسياسي وغير ذلك الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الافتتاحية ، وترى بهذا كله اقتباس المنار لهدي الكتاب العزيز واتباعه لسنته في الترتيب كاتباعه له في المسائل والاحكام والحمد لله على ذلك

كان لتلك المقالات الخطابية الاجتماعية والفلسفية تأثير عظيم في نفوس القارئين: فمن مبالغ في الاستحسان كأن يطالب بمد الاقلال منها ان نعود اليها ، (١) ومن مبالغ في الاستهجان يقول قد بين عيوبنا وجهلنا للاجانب ويكتبون الينا ان نترك مثلها (٢) ولكن لم يكن يسكت عن الجمهور غضبه علينا ، ويقل خوضه فينا ، حتى رأينا كثيرا من كتاب المسلمين وخطبائهم قد تلونا تلونا ، واحتذوا في انتقاد حال المسلمين حذونا ، حتى صار ذلك في الجرائد مألوفا ، وأصبح منكره عند الاكثرين معروفا ، ولكن معظم كلامهم في الداء ، من غير بيان للعلاج والدواء

اما المنار فكان يصف العلاج لامراض الأمة بالاجمال ، ثم بالتفصيل والاستدلال ، والغرض من كل ذلك اعداد النفوس للعمل العظيم الذي نرجو ان يكون قد قرب زمانه ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز »

هذا ما اردت بيانه في مقدمة الطبعة الثانية للسنة الأولى ، والله الموفق وبه المستعان . وكتب في رمضان سنة ١٣٢٧

منشيء المنار
محمد رشيد رضا الحسيني

---

(١) من أعظم هؤلاء قدراً السيد مهدي خان محسن الملك نواب بهادر وناظم مدرسة العلوم في عليكده بالهند (رح) (٢) من أشهر هؤلاء الشيخ أبو الهدى الصيادي والشيخ حسين الجسر (رح)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فاتحة السنة الاولى للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

أما بعد : فهذا صوت صارخ بلسان عربي مبين ، ونداء حق يقرع مع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين ، ينادي من مكان قريب يسمعه الشرقي والغربي ، ويطير به البخار فيتناوله التركي والفارسي

يقول : أيها الشرقي المستغرق في منامه ، المبتهج بلذيذ احلامه ، حسبك حسبك فقد تجاوزت بنومك حد الراحة ، وكاد يكون اغماء أو موتاً زؤاماً ، تنبه من رقادك ، وامسح النوم عن عينيك ، وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض ، ودخل الانسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير

فهذه الجمادات تتكلم بغير لسان ، وتكتب من غير قلم ولا بنان ، والوحوش حشرت مع الانعام ، والمراكب تجوب السهوب والفيافي وتقترع الاعلام ، بل طارت في الهواء تسابق الرياح ، وتسامي ذوات الجناح ، واستولى اخوك المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار ، وولدهما البخار ، واستخدم الكهرباء والنور فاخترق بذلك الجبال ، واختبر اعماق البحار ، وعرف مساحة الهواء ، ونفذت اشعة بصره الكثائف ، ووصلت أمواج صوته الى كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكان سحيق، فقرب ابعاد الارض وجمع بين اقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية فعرف الكواكب ومدارها، ومادتها ومقدارها

حسبك حسبك !! هب من سباتك، واستيقظ من هجوعك، فقد ولت حنادس الجهالة، واشرقت شمس المعرفة، انظر وتأمل ماذا يفعل اخوك المستيقظ بدك الحصون والصياصي، ويقوض المعاقل والهياكل وهو متكيء على اريكته ينظر اليها بالآلة المقربة للبعيد، ويقيم الحصون والاسوار، ويشيد البوارج والابراج، ولا يتعب له عضل، ولا يندى له جبين، ولا يحتاج في امثال هذه الاعمال العظيمة الا الى اشارة لطيفة، وحركة خفيفة، فالطبيعة تخضع لاشارته، وتسير طوع يمينه، فيتم له كل ما يريد . لا يهولنك ماتسمع، ولا يروعنك ما ترى، واعلم ان هذا العصر عصر العلم والعمل، فمن علم وعمل ساد، ومن جهل وكسل باد، « وما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد، »

كانت العلوم الطبيعية على عهد اسلافك افكاراً متضاربة، وآراء متناقضة، وأقوالاً متعارضة، لم تأت عن امتحان وعمل، ولم يكد يبنى عليها عمل، ولذلك كثر ذاموها، وقل مادحوها، واما في هذا العصر فليس العلم الا ما اثبته العمل، أو بني عليه عمل، فما لم يحتف به العمل من قطريه، لا يعول عليه، فالاعمال تنمي العلوم، والعلوم تمد الاعمال، وشاهد ذلك عندك الحديث الشريف «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » قاعدة وضعت في الشرق، واهتدى للانتفاع بعمومها أهل الغرب، والذين صدرت بلغتهم لاهون غافلون . فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكر، ولا تجعل حظك من حياتك الاماني والتشهي، ولا تدع للاوهام في ذهنك مجالاً واسعاً ومكاناً فسيحاً (ليس بأمانيكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا أماني أهل الكتاب) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)

فعليك بالعلم والعمل رض بهما نفسك، ورب عليهما ولدك ،فلقد حل من لساني عقدة الاعتقال والسكوت، وأطلق قلمي من عقال الدعة والسكون، استغراق بعض اخوتي واخوتك في النوم ،وغرق بعضهم في بحار الوهم، وجهل المريض منهم بدائه، ويأس العالم بمرضه من شفائه ،فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ،ومشايعة للساعين في مداواة العلل ،الذين أرشدتهم التعاليم الدينية ، وهداهم النظر في الآيات الكونية ،الى أن اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته جل علاه ،هو عين الكفر والضلال،وآية الحزي والنكال،فاحبوا أن يعملوا لامتهم،ويقوموا بخدمة لملتهم ، فالجريدة تكون وصلة بينهم وبين الامة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ،وتحيي ميت الغيرة من نفوس آحادها . وتجاري الحداة لدى السير في مناهج الترقي ، وتنتصب (منارا) في أخرات الشبهات ، ومجاهيل المشكلات

وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين ،لا الحط في الامراء والسلاطين ،والترغيب في تحصيل العلوم والفنون،لا الاعتراض على القضاة والقانون.واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم،والتنشيط على مجاراة الامم المتمدنة في الاعمال النافعة، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد ،وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة ، والاخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد،والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل،حتى صار الجبر توحيدا،وانكار الاسباب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ايمانا، وترك الاعمال المفسدة توكلا، ومعرفة الحقائق كفرا وإلحادا، وإيذاء المخالف في المذهب دينا، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحا، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفانا، والذلة والمهانة تواضعا، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليما، والتقليد الاعمى لكل متقدم علما وايقانا

تشخص هذه الامراض الروحية وأشباهها، وتوضح عللها وتصف علاجها، وتجتهد في تأليف القلوب المتنافرة، ووصل العلائق المتقطعة، وجمع الكلمة المتفرقة ما استطاعت، وتحاول اقناع أرباب النحل المتباينة، والمذاهب المختلفة، ان الله تعالى شرع الدين للتحابّ والتوادّ، والبر والاحسان، وان المعارضة والمناهضة، والمناصبة والمواثبة، تفضي الى خراب الاوطان، وتقضي على هدي الاديان، وتحث على التمسك بالدين، وتبين انه أساس السعادة وان الكفر فساد العمران، وتدرأ الشبه الواردة على الشريعة الاسلامية، وتدحض مزاعم من قال: انها حجاب كثيف وسد حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة: لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة، والاحكام العادلة، وترشد العاملين الى أن محاولة الطفور غرور، وان طلب الغاية في البداية جهل وحرمان، وان مراعاة السنن الالهية، ومسايرة النواميس الطبيعية، كافية بتوفيق الله تعالى لبلوغ كل مقصد، ونيل كل مرام، وتنبه العثمانيين على أن الشركات المالية هي مصدر العمران، وينبوع العرفان، وان عليها مدار تقدم أوربا في الفنون والصنائع، لا على الملوك والامراء، فهي التي تنشيء المكاتب والمدارس، وتشيد المعامل والمصانع، وتسير المراكب والبواخر، ونموذج ذلك بين أيديهم، وتحت مواقع أبصارهم، وتنشر محاسن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللغة العربية بالتحلي بفرائدها واقتناص أوابدها ، وتقييد شواردها، على سبيل التدرج في الاستعمال . ولا تأتي ان تذكر ما تفيد معرفته من أخبار السياسة الخارجية، وتثبت ما يهم بيانه من الحوادث المحلية، مع انتقاء الصادق والاعتدال، لا تميل مع ريح حزب من الاحزاب، ولا تتطرف لجانب تفريط أو افراط ، بحسب ما يصل اليه الاجتهاد . لكنها عثمانية المشرب ، حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق، وتخدم مولانا السلطان الاعظم بصدق، وتتحامى المطاعن الشخصية ، والاماديح الشعرية، لكنها لا تني في تقريظ الاعمال العامة الموضوع ، وتقريض الكتب المؤلفة لافادة الجمهور، بالقول الصحيح، والانتقاد الرجيح ، وتقبل الانتقاد الادبي من كل احد، وتقابل عليه بالثناء والشكر، وتذعن للحق كيفما طلع بدره ، ومن أين انبلج فجره ، وتتلقف الحكمة من حيث أتت ، وتأخذها أينما وجدت ،

هذا ما توجهت اليه النفس، واعتزمت عليه بعد تصحيح النية واخلاص القلب ، ولا اجهل اني حاولت أمرًا جليلاً ، وحملت نفسي عبأ ثقيلا ، ينوء بالعصبة أولي القوة ، ويعوز الى تأليف لجنة أو عقد جمعية، لكنني مع ذلك أعلم ان للحق انصارا ، وللصالحات اعضادا ، تستمد الجريدة من بحار افكارهم وتغتذي بالكلام الطيب من مجاني عرفانهم، وتستقي مداد الحكمة من أنابيب اقلامهم ، ومن جراء هذا أوذاك مر عليَّ حين من الدهر بعد تصور الموضوع والعزم على الشروع ، وانا بين اقدام واحجام ، ويأس ورجاء، يحركني الباعثان ، ويتنازعني العاملان حتى اعملت الامل ، ورجحت الاقدام على العمل، وما اجدرني بموقف الحيرة بين بين ، وقد انذرني بعض عظماء هذا القطر، بما صدقه به الابتلاء والخبر ، من ان الجد مرغوب عنه، لا مرغوب فيه،

وان السواد الأعظم من الامة قد ثار حابلهم على نابلهم ،وهضم مفضولهم حقوق فاضلهم ،فاصبحوا ومطامح انظارهم انتقاد الحكومة المحلية، ومطارح افكارهم المداوات الشخصية،ولا يديرون ألحاظهم،أو يعيرون التفاتهم لما وراء الغميزة والازراء.الا ماكان من نكتة هزلية،أو رواية غرامية،فاذا رأوا جريدة تفند أكثر أقوالهم ، وتنعي على اسرافهم في أمرهم ،وتسجل عليهم التقصير في العمل المفيد عمارة بلادهم، بل التشمير للعمل على خراب أوطانهم،أو تسليمها لايدي الاغيار ،من المهطعين للاستعمار ،يوشك ان يلفظوها لفظ النوى، ويضربوا بها عرض الحائط ،لكنني وطنت النفس على الاقتناع بموازرة الكرام، ومعاضدة الاخيار،نعم ان الكرام قليل ورجاؤنا ان يكونوا آخذين في النمو لماتقتضيه حالة العصر ويزعج الامة اليه موقفها الحرج.وبالله المستعان وعليه التكلان ، « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

اصطلاحات كتاب العصر

من القضايا المسلمة انه لامشاحة في الاصطلاح ولامندوحة عن مراعاة ما يتواطؤ عليه الجمهور ومجاراة الناس على ما يصطلحون عليه في كل زمان ومكان . وقد انطلقت ألسنة أهل هذا العصر وجرت أقلامهم بالفاظ يريدون بها من المعاني غير ماتدل عليه في أصل اللغة أو في عرف العصور السالفة ولهم الفاظ أخرى جاءتهم من الفنون الحادثة والاكتشافات الجديدة والكثير منها مما لم تستعمله العرب فرأينا ان نشرح في صحيفتنا هذه

الالفاظ حيناً بعد حين لان الكثير من القراء غير عارفين بها على الوجه الذي نستعمله وبالمعنى الذي يفهمه العارفون وقد مر منها في فاتحة هذا العدد لفظ الطبيعة. والطبيعي. والنواميس الطبيعية. وقوى الطبيعة. والكفر

أما لفظ الطبيعة فقد كان فيما مضى مما لا يكاد يستعمله الا الاطباء والصوفية والفلاسفة وأكثر من كان يستعمله الاطباء ويطلق لفظ الطبيعة عندهم على عدة معان على الهيئة التركيبية وعلى المزاج الخاص بالبدن وعلى القوة المدبرة وعلى حركة النفس وربما أطلقت الطبيعة على النفس الناطقة باعتبار تدبيرها للبدن . والطبائع الاربع في عرف الاطباء والطبيعيين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وكان يطلق لقب الطبيعي على فرقة تعبد الطبائع الاربع وعلى من ينسب كل شيء للطبيعة كما يطلق على صاحب العلم الطبيعي . وقد عرف السيد الجرجاني (قدس سره) الطبيعة بالقوة السارية في الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي وكان الصوفية يستعملونه في غير هذا المعنى أيضاً وليس بين يدي الآن شيء من كتبهم أراجعه في ذلك

وأما لفظ الطبيعة اليوم فهو كثير الدوران على ألسنة جميع الكتاب في الفنون العلمية والادبية حتى الشعراء والمترسلين ويجرونه على معناه اللغوي وهو المخلوقات أو الحالة التي هي عليها

وبيان ذلك ان الطبيعة في اللغة بمعنى الخلقة والخليقة والفطرة فخلق الله الاشياء وفطرها وطبعها بمعنى واحد واذا قلنا ان هذا الشيء تقتضيه طبيعة الاجتماع الانساني فهو كما اذا قلنا تقتضيه فطرة الله التي فطر الناس عليها بلا فرق . وحاصل القول ان لفظ الطبيعة حيث اطلق فالمراد به الحالة التي طبع الله الموجودات عليها أي خلقهم وتطلق على الموجودات أنفسها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيقال تأمل محاسن الطبيعة أي المخلوقات وأما الطبيعي فهو المنسوب للطبيعة كالخلقي نسبة للخلقة ويستعمل في مقابلة الصناعي فيراد به ما لا صنع للبشر فيه أي في هيئته التركيبية كالاشجار والبحار ويطلق على العالم بالفنون الطبيعية وان كان متديناً ولا يطلق على الملحد من حيث انه ملحد وان نسب الاشياء للطبيعة واعتقد انها موجدة لها ومؤثرة فيها من دون الله تعالى بل يطلقون على من هذا شأنه لفظ الكافر والدهري والمادي (لانه ينكر ما وراء المادة فلا يعتقد بالاله ولا بالعالم الآخر) وفي بلاد الهند يطلقون عليه لقب نيشري وأكثر عامة بلادنا لا يفهمون من لفظ الطبيعي اذا اطلق على انسان الا هذا المعنى الاخير وهو الذي حملنا على هذا البيان لئلا يحملوا كلامنا على ما يفهمون

ويدور هذا اللفظ على الألسنة كثيراً في المحاورات المتعلقة بسائر الشؤون ويراد به مجرد التأكيد والتحقيق أو أن هذا الشيء ظاهر بالبداهة تراهم عند سماع شيء من المسلمات يقولون هذا طبيعي يعنون أنه بديهي أو محقق لا نزاع فيه وأما العلماء والكتاب فيعنون بقولهم (هذا شيء طبيعي) ان له سبباً طبيعياً يعلل به

وأما النواميس الطبيعية فالمراد من الناموس الطريقة الثابتة المطردة التي يحكم الله تعالى بها على الكون وهو محرف عن لفظ (نوموس) اليوناني ومعناه الشريعة وكثيراً ما يدور على ألسنة الطبيعيين (شريعة الطبيعة) و(الشرائع الطبيعية) ويستعمله كتاب العربية في المقالات الادبية والسياسية مجاراة لهم وعملا باصطلاحهم وكان الاولى ان يترجم لفظ (نوموس) بالسنة فيقال سنة الطبيعة والسنن الطبيعية وبعض الكتاب يستعمل هذا الحرف

وستراه كثيراً في هذه الجريدة وقد نعتاض عنه احياناً بقولنا سنة الكون والسنن الالهية وسنة الله في خلقه

وأما القوي الطبيعية فهي عبارة عما تسند اليه الآثار الطارئة على الاجسام من حركة أو سكون ومنها ما هو حقيقي كالقوة البخارية والكهربائية وما هو فرضي كالجاذبية فان تعليل سقوط نحو الحجر من الهواء على الارض بانه سقط بقوة الجاذبية التي في مركز الارض يوهم ان هناك شيئاً موجوداً له هذا الفعل وانهم اطلعوا عليه وسموه بهذا الاسم وليس كذلك بل ان هذه القوة مفروضة والتسمية اصطلاحية ولما كان الفعل الذي نسب اليها يصدر عنها باطراد صح اطلاق لفظ الناموس عليها فقالوا ناموس جاذبية الثقل ومثل هذا كثير وقد اطلنا في البيان حتى كدنا نخرج عن المقصود

وأما لفظ الكفر فيطلق في عرف الكتاب اليوم على الملاحدة كما المعنا اليه في عرض كلامنا آنفا فمهما اطلقنا لقب الكافر أو اسم الكفر في كلامنا فنريد به ما ذكرنا ولا نطلقه على المخالفين لنا في الدين من أصحاب الملل الاخرى لانهم ليسوا كفاراً بهذا المعنى بل نقول بعدم جواز اطلاقه عليهم شرعاً لانه صار في هذه الايام من اقبح الشتائم واجرح سهام الامتهان وذلك مما تحظره علينا الشريعة باتفاق علماء الاسلام ولا يصدنك عن قبول هذا القول اطلاق ما ذكر في العصر الاول للملة على كل مخالف فانه لم يكن في زمن التشريع يرمى به لهذا الغرض بل كان من اللطف الالفاظ التي تدل على المخالف من غير ملاحظة غميزة ولا ازراء فضلاً عن ارادة الشتم والايذاء المخالفة لمقاصد الدين وآدابه

ذلك ان معنى الكفر في أصل اللغة الستر والتغطية وكانوا يسمون الليل كافراً لانه يغطي بظلامه الاشياء واطلقوا لفظ الكافر على طلع النخل واكمام النور (الزهر) لما ذكر وعلى البحر لان الشمس تغيب فيه بحسب الظاهر وعلى ثوب كانوا يلبسونه فوق الدرع يقولون له كافر الدروع وقد سمى القرآن العظيم الزراع كفاراً كما هو المشهور في تفسير قوله تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) وامثال هذا في اللغة كثيرة ويظهر منها ان حقيقة الكفر تغطية المحسوس بالمحسوس ثم اطلق على من لم يذعن للدين ومن لم يشكر النعمة تجوزاً وكل ماتقل من العبارات المستعملة من هذه المادة يومىء الى ماذكرنا (راجع الاساس وغيره)

وحيث قد اختلفت الحال وتغير الاستعمال فلا ينبغي اطلاق اسم الكفر على صاحب دين يؤمن بالله (ولا نغير كتب الفقه أو نعترض عليها)

ورب متحمس يرميني بالافتئات على الفقهاء أو مصانعة النصارى أو الميل مع ريح السياسة عن جادة الشرع فاقول على رسلك أيها المتحمس فان أذية الاجنبي المعاهد على ترك الحرب محرمة فما بالك بالوطني (أي من المخالفين لنا في الدين) وان كان لا يقنعك الا النص الصريح من كتب الفقه على هذه المسألة بخصوصها فاليك هذين النصين احدهما عام والآخر خاص بلفظ الكفر

جاء في (معين الاحكام) مانصه: اذا شتم الذمي يعزر لانه ارتكب معصية وفيه نقلا عن الغنية ولو قال للذمي يا كافر يأثم ان شق عليه اه

ولعل وجدانك لا يسمح لك بان تقول الآن انه لا يشق عليه وهو سب صريح واذا ثبت انه لا يجوز نداؤه بهذا اللقب في وجهه لانه يستاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه فلا شك ان اطلاقه عليه في غيبته غير جائز أيضاً لان غيبته محرمة فينتج ان ذلك اثم في كل حال وسنفرد لهذه المباحث مقالات في الاعداد التالية ان شاء الله تعالى

مشروع مفيد

(سكة حديد بين بورسعيد والبصرة)

افتتحت جريدة المؤيد الغراء عددها (٢٤٢١) الصادر يوم الاحد الماضي برسالة وردت عليها من محرر جريدة (وكيل) في بنجاب من المعالات الهندية ونشرتها تحت هذا العنوان

فرأينا ان نلخص منها مايلي

قال الفاضل الهندي «ربما لايخفا كم ان شركة انكليزية تبذل جهدها وتعمل بكل همة سعياً للحصول على امتياز من الباب العالي بانشاء خط حديدي من بور سعيد الى البصرة أوالكويت عن طريق الجوف»

وفي شهر دسمبر اشار كاتب في جريدة (وكيل) الى مشروع جليل وهو ان تشكل لجنة تحت حماية جلالة مولانا السلطان الاعظم لفتح اكتتاب من المسلمين في جميع العالم لدفع غرامة الحرب الاخيرة الى الروسيا دفعة واحدة فتخلص بذلك الدولة العلية من تداخلها في أحوالها أما انا فلم أوافق على هذا الرأي لانه لايمكن للروسيا ان تطلب أكثر من ٣٢٠٠٠٠ جنيه في السنة لمدة مائة عام ولو فرضنا ان اللجنة المذكورة تنجح في عملها وتجمع المبالغ اللازمة لدفع الغرامة الروسية مرة واحدة

الزمنا ان ندفع لها مبلغاً ايراده السنوي ١٢٠٠٠٠ جنيه دائماً مع انه لا يمكن للروسيا ان تطلب سوى المبلغ المذكور قبل لمدة مائة سنة

ولكنني بينما كنت أناقش ذلك الكاتب في اقتراحه اذلاح لي مشروع وقد كلفت به . ذلك ان تؤلف لجنة عالية تحت رعاية ومراقبة جلالة الخليفة الاعظم لانشاء سكة حديدية من البصرة ومنها عن طريق الموصل الى حلب فالاسكندرونة ثم ينشأ خط من حلب الى الشام فالحجاز فاليمن

وحيث ان نفوذ جلالة الخليفة المعنوي يزداد انتشاراً شيئاً فشيئاً في جميع ارجاء العالم الاسلامي فلا شك ان كل مسلم عاقل ينضم الى هذا المشروع ويساعد في نجاحه وفضلاً عن استعمال اللجنة لهذا النفوذ بقدر مايصل اليه صوتها فانه يلزمها ان تعلن وترسل مندوبين لها الى جميع الجهات التي يقطنها مسلمون كمصر ومراكش وتونس والجزائر وسكوتو والهند وايران والصين وتركستان وسومتره وجاوه وغيرها

فاذا نجحنا في عمل مهم كهذا كان أفضل واسطة لاتحاد جميع مسلمي العالم البشري المنتشرين في الارض بل كان واسطة لجمع مبالغ كثيرة لعمل مفيد

وان الوفا من شبابنا الذين هم الآن بلا شغل وعمل يتمكنون بهذا المشروع من الاشتغال بمعاشهم بافتتاح ممالك فسيحة للتجارة والزراعة والاستعمار . وتكون مواصلاتنا مع الحجاز تامة وبغاية السهولة فضلاً عن المنافع السياسية والحربية والتجارية التي تحصل للباب العالي من تنفيذ هذا المشروع الجليل

ولقد سردت أبواب هذه الفوائد المهمة في مقالة نشرتها في جريدة (وكيل) بتاريخ ٢٧ دسمبر سنة ١٩٨٧ ص و ٥٤ واشرت على المقالة بالحبر

الاحمر في جميع النسخ التي ارسلت الى الجرائد المصرية والتركية مؤملاً ان تفصح هاته الجرائد عن افكارها في هذا الشأن وانها ان استحسنت اقتراحي عضدتني فيه بما تستطيعه وطلبت أيضاً من قنصل الدولة العلية تعضيدي فيه

ولكني أتأسف من ان ما كتبته ذهب كالنقش على الماء فلم يلتفت اليه أحد

اليس من العار على المصريين والعثمانيين وسائر المسلمين ان يروا الامم الاخرى تسعى في الحصول على امتيازات في ارجاء آسيا وأفريقيه بل في تركيا نفسها ونحن معاشر المسلمين في الارض ننظر اليها نظر المتفرج بدون عمل ولا حركة كانه لا يهمنا قط ان نكون في غبطة عيش ونعيم وكانه لا يهمنا ان تكون امتنا سعيدة بتدبير أحوال ممالكها الفسيحة وترقيتها

وفي ٢١ فبراير كتبت مقالة في هذا الشأن ونشرتها في « الوكيل » اه ثم ذكر انه دائب على تشويق أهل وطنه الى هذا العمل العظيم ورغب الى صاحب (المؤيد) ان يشوق المسلمين الى ذلك في جريدته الشهيرة وقد أجاب المؤيد دعاءه ولبى نداءه فذيل الرسالة بنبذة تنشيط ملخصها ان مايقترحه الكاتب أعظم مشروع ينعش الحياة ويجدد السعادة للدولة بل للملة الاسلامية

وان المسلمين اذا لم يبادروا لمثل هذا العمل فلا يبعد ان يأتي يوم يعجزون فيه عن الاتيان بأي عمل

فهذا لو ان جلالة مولانا الخليفة الاعظم الذي اشتهر في العالم كله بجمع شتات الاسلام حول عرشه استلم زمام هذا العمل العظيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بنفسه وانفذه ليكون الفاتح والمجدد لعصر حضارة الاسلام على ما تقتضي ظروف الايام » اه

(المنار) لخصنا هذه المقالة لامور منها بيان تعلق المسلمين بمولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى في اقطار الهند وآمالهم العظيمة في ان تقدم الامة كلها منوط بحكمته المشهورة ومساعيه المشكورة وخضوعهم لسلطته الروحية وسيادته الدينية

ومنها ان المشروع من الاعمال التي لا تقوم الا بالشركات المالية والحث على الشركات المالية لاي عمل كان هو من أفضل الاعمال التي انشئت الجريدة لاجلها

وأما هذا المشروع بخصوصه فلا ننكر عظيم فائدته لكننا نفوّض النظر فيه لحكمة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى) ولوزرائه الصادقين فان لهم من المعرفة بمنافع الامة ووسائل تقدمها ما ليس لنا ورأينا ان سبب التقدم الذي يجمع كل الاسباب وترجع اليه جميع الوسائل هو تعميم التربية والتعليم في جميع عناصر الامة على طريقة واحدة ولا يمكن الوصول الى هذه الغاية الا بشركات مالية تنشيء المدارس الوطنية وتختار لها المعلمين المهذبين وسنواظب على الحث على هذا المشروع ونبين مزاياه في ما يأتي من الاعداد

واننا نفتخر بمولانا أمير المؤمنين من العناية بامر المكاتب والمدارس حتى انه انشأ من جيبه الخاص الكثير منها

ولا ننكر ما لسمو عزيز مصر (عباس الثاني) من الاهتمام بأمر العلم والازهر الشريف شاهد عدل ورجاؤنا باغنياء المصريين وسائر العثمانيين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاقتداء بسلطانهم الاعظم وخديويهم المعظم في هذا الامر الذي هو كل أمر والله الموفق

مجمل الاحوال السياسية

لم نر عاماً كثرت مشاكله السياسية كهذا العام . فانا نرى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام في الشرق والغرب في العالم القديم والعالم الجديد

ففي مياه الصين تتجمع الاساطيل الاوربية وتتكاثف تكاثف الغيوم قبل نزول الصواعق . وفي أفريقيا تزحف الجنود وتتسابق الحملات الى اعالي النيل تسابق خيل الطراد . وفي الهند قد سقيت الارض بدم الانسان وسمدتها فضلات النسور والعقبان من جثث القتلى فأخرجت في هذا الربيع نبتاً خصيباً . وفي كوبا وراء الاوقيانوس العظيم قد صارت الحرب بين الاسبان والاميركان قاب قوسين أو أدنى . وفي كريت لا يزال السيف مصلتاً والاخوة العثمانيون يفني بعضهم بعضاً . وفي النمسا استفحل الخلاف بين العناصر المختلفة فصار البعض يتوقعون انتشار عقد الوفاق وسقوط تلك المملكة العظيمة . وفي ايطاليا وسيسيليا ساد الجوع أرغفاء الخبز وقلة الاعمال فثار الشعب ينهب الافران مقتحماً حراب البوليس وهجمت النساء صارخات طالبات لهن ولاولادهن خبزاً . اما في فرنسا فقد مرت الزوبعة السياسية مرور الزوابع الطبيعية على اعشاب الارض تعبث بها ولا تجر ضرراً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويطول بنا المقال ان رمنا تفصيل تلك الحوادث السياسية الخطيرة . على انه لابد من الالماع اليها الماعاً يطلع قراء المنار على اجمال تفاصيلها الماضية ويكون توطئة للحوادث الآتية

المسألة الصينية

قتل بعض أشقياء الصينيين بعض مراسلي الكاثوليك الالمان في البلاد الصينية فاتخذت ذلك ألمانيا وسيلة الى احتلال ثغر من أهم الثغور الصينية يدعى كياوتشو أنفذت اليه اسطولها في الشرق الاقصى فاحتله بلا حرب ولا نزاع لان الحامية الصينية غادرته حين علمت بقصد الجنود الالمانية . ثم احتل الاسطول الروسي بورث آرثر مقابل احتلال الالمان لكياوتشو فأرغت اليابان وأزبدت وقامت انكلترا وقعدت وأنفذت الدول بوارجها الى مياه الصين تباعاً حتى حسب الناس ان الحرب صارت أقرب من حبل الوريد وظنوا انه قد حان تقسيم تلك المملكة الواسعة

ثم بان ان الدول لا تنوي التقسيم لما يحول دون ذلك من الموانع السياسية . وطلبت الصين قرضاً فتنازع روسيا وانكلترا عقد هذا القرض ، واشترطت انكلترا على الصين شروطاً أهمها (فتح تاليان وان) فأثار ذلك ثائر روسيا وآذنت الصين بأنها ان هي فتحت (تاليان وان) أساءت الروسية معاملتها . فتنازع الصين عاملان قويان فباتت لا تعلم أيهما تعمل حتى جاء يوم قيل فيه ان انكلترا أرجأت البحث في فتح تاليان وان الى فرصة أخرى . وقد وافت الرسائل البرقية في الاسبوع الماضي تقول ان الصين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اجابة لطلب اليابان سألت روسيا عما اذا كان ينسحب اسطولها من بورت آرثر في فصل الربيع فاجابت روسيا ان في احتلالها بورت آثر مصلحة للصين وكوريا معاً . ثم جاء ان روسيا تلح على الصين بأن تؤجرها بورت آرثر وتاليان وان الى ٩٩ سنة كما أجرت المانيا ثنركيا وتشوو أنظرتها خمسة أيام فاذا انقضت ولم تجبها الصين الى طلبها عملت روسيا في الصين عملاً عسكرياً. فقامت التيمس بعد هذا الانذار تقول ان انكلترا منذ حرب القريم لم تكن يوماً أفرغ صبراً مما هي الآن وخطب ناظر البحرية في مجلس العموم عند عرضه ميزانية البحرية فقال ان الاسطول في غاية الاستعداد فان بقيت السلم كانت سلماً شريفة وان نشبت الحرب (لا قدّر الله) خرج الاسطول ظافراً . أما ناظر الخارجية الانكليزية فقد صرح انه لا يرى دليلاً على ما قيل من ان روسيا قدّمت للصين انذاراً . والله أعلم بمصير المسألة الصينية

المسائل الافريقية

قلنا المسائل الافريقية لا المسألة لان المشاكل في أفريقيا متعددة. أولها حملة مصر على الدراويش . ثم الحملة الفرنساوية في النيل الاعلى. ثم ثورة أوغنداه. ثم مسألة النيجر بين الفرنساويين والانكليز. ثم مسألة الترنسفال بين البوير والانكليز أيضاً

أما الحملة المصرية فسنفرد للبحث في أمورها مقالات خصوصية. وأما الحملة الافرنسية السائرة في مجاهل أفريقيا بقيادة الضابط الباسل مرشان فلا يعلم أحد الغرض الذي ترمي اليه حتى الآن . والمشهور انها زاحفة لاحتلال الاراضي التي وراء بحر الغزال في أعلى النيل . وبما ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تلك الاراضي هي غرض انكلترا أيضاً فالمنتظر ان تقوم قائمة الخلاف والنزاع بين الدولتين بشأن تلك الاصقاع في وقت قريب . وقد انفذت انكلترا من جهة اوغندا الى أعالي النيل من شهور عديدة حملة انكليزية بقيادة الماجور مكدونالد . غير ان تلك الحملة ماقطعت مسافة قصيرة حتى ثار رجالها وهم من السودانيين على القائد مكدونالد فتحصنوا في حصن هناك فحاصرهم الماجور قمعاً لثورتهم وارغاماً لانوفهم وطلب المدد تشديداً للحصار غير ان السودانيين رأوا من المحاصرين غفلة فقروا من الحصن ونجوا بأنفسهم . فرجع مكدونالد ادراجه ولم يزل مرشان يفذ السير الى غرضه بخطى واسعة . وأشيع يومئذ ان حملة مرشان قد ذبحت عن آخرها غير انه ظهر بعد ذلك ان هذا الخبر كان مكذوباً . هذا ويرى البعض ان احتلال فرنسا أعالي النيل سيكون بداية فتح المسألة المصرية

واما الخلاف الذي بين فرنسا وانكلترا بشأن النيجر فهو ناشىء عن طمع كل من الدولتين في تلك الاراضي واختلافهما على تحديد املاكهما فيها . ويقول الفرنسيون ان شركة النيجر منشأ ذلك الخلاف كله وقد عقدت في باريس من عهد قريب لجنة من الانكليز والفرنسويين للبحث في دعاوي الطرفين وحلّ تلك المشاكل بالطريقة الودية . وقد أضيف في الاسبوع الماضي مشكلة جديدة الى تلك المشاكل القديمة فان حملة الفرنسيين اجتازت نهر النيجر وحاولت الزحف على أرض تقول انكلترا انها تحت حمايتها وقد امدّت انكلترا سلطان تلك الارض بجند يساعده على ارجاع الفرنساويين على أعقابهم ولم يرد بعد ذلك نبأ جديد

واما الخلاف بشأن الترنسفال فمنشأه طموح انكلترا الى تقييد تلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجمهورية الصغيرة بقيود سيطرتها . وقد نظم دكتور انكليزي يدعى جمسن حملة هجم بها على تلك الجمهورية على حين غفلة فالتقمها سيوف البوير ونالت منها ماتالته سيوف الاحباش في موقعة عدوه من الطليان ولا يزال مستر شامبرلن وزير المستعمرات الانكليزية يؤكد لتلك الجمهورية حتى الآن انها تحت الحماية الانكليزية . ولعمر الحق ان امبراطورية الاحباش وجمهورية الترنسفال قد أظهرتا باسلوب عجيب مقدرة الشرقيين على الدفاع عن حريتهم واستقلالهم في سبيل ذلك الدفاع الشريف

وسنتكلم فيما يلي من الاعداد على بقية المشاكل السياسية

الحبشه

بنى السيف في القرن التاسع عشر امبراطوريتين عظيمتين الاولى الامبراطورية الالمانية والثانية الامبراطورية الحبشية

فان تسليم سيدان وباريز ألبس غليوم الاول تاج الامبراطورية الالمانية وانتصار الاحباش على الطليان في موقعة عدوه انال منليك رئاسة الحبشة وجعله امبراطوراً على ملوكها المتحدة .

والحبشة أمة شرقية قد أيقظها دوي مدافع الطليان من سباتها العميق فهبت الى دخول التمدن من أبوابه ولا يبعد ان نراها بعد خمسين سنة تضاهي شقيقتها اليابان الشرقية قوة ومنعة وعزاً . واذا بلغت الحبشة مبلغ اليابان كان ذلك دليلاً ثانياً على استعداد الشرقيين للتقدم العصري والارتقاء وعلى قابليتهم للانتظام ومقدرتهم على الثبات خلافاً لما يشيعه عنهم الاخصام .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس غرضنا الآن تبيان ما بلغته الحبشة وما ستبلغه من التقدم ان استمرت على سيرها الحثيث

وانما غرضنا ذكر حديث جرى في بور سعيد بين أحد مكاتبي الجرائد الاوروبية والمسيو اتوجوزف سكرتير منليك الخاص فان في ذلك الحديث بعض اللذة والفائدة وهو بصور السؤال والجواب

س : هل تحب مصر

ج : لا أحبها لانها بلاد قوم لا يحبوننا فهم يزعمون ان الحبشي ملك يدهم لذلك يسمونه « عبدا »

س : وما رأيك في الانكليز

ج : لا نخشى لهم بأساً وحسبهم الآن الدراويش خصماء وانا لا نحذر غير الفرنساويين ولو انا انكسرنا في حربنا مع الطليان لبتنا طعمة للفرنساويين

س : وما صنعتم باسرى الطليان

ج : لقد عاملنا الجميع بكل رفق وتؤدة لان قوانين الحبشة تنهى عن مضايقة الاسرى أو تعذيبهم وقد أطلقنا سراحهم جميعهم فرحل البعض بسلام الى بلادهم وعلق البعض نساءنا فاستحبوا الاقامة عندنا . وقبل ان يطلق الطليان اسرانا سمعنا انهم اساؤا معاملتهم فلم يحملنا ذلك على مقابلة الاساءة بالاساءة لانا نعتبر الاسير مقدساً لا يجب ان يمس بسوء

س : ماقولك فيما شاع من ان انكلترا ستمنحكم زيلع على ان تلتزموا الحياد في الحرب التي بين مصر والدراويش

ج : لا أعلم في ذلك شيئاً لاني أجهل حوادث بلادي منذ سبعة أشهر . علماً اني لا أرى أفضل من الحياد في مثل هذا الوقت فان المتحاربين

مسلمون ولا أرى ما يو[illegible] علينا اختراط الحسام دفاعاً عن المسلمين

س : وهل تحمل لجلالة الامبراطور كثيرا من الهدايا

ج : لقد بعث معي جلالة السلطان فرسين من الخيل الجياد ونيشاناً باهراً وبعث جلالة القيصر كلبي صيد وسيفاً ثميناً وغير ذلك من الهدايا

س : هل لك ان تتفضل عليّ بوصف هيئة الحكومة في بلادكم

ج : لا عندنا مجالس شورى ولا دستور ولا نواب فان جلالة الامبراطور هو الحاكم الاعلى وله مجلسان عقلاء الشيوخ يستدعيهم عند الاقتضاء وهناك محكمة فيها قاض واحد لا يحكم في قضية الا عند شهادة رجلين اما القاتل فجزاؤه القتل وان شاء الامبراطور ان يعفو عن القاتل كان لعائلة المقتول ان تعترض على ذلك العفو ولعائلة المقتول ان تنفذ بيدها حكم الاعدام

س: وهل الملكة نبيهة متهذبة

ج : اسم جلالتها تايتيس اعني الشمس وهي نبيهة وشديدة الاهتمام بالآداب العمومية

س : بما انك ذكرت لي معنى اسم الملكة فارجو ان تذكر لي ما معنى اسم « منليك »

ج : ان تاريخ هذه الكلمة قديم . فقد جاء في التقاليد القديمة ان ملكة سبا سمعت بحكمة سليمان الحكيم فوفدت عليه . ثم وضعت منه غلاماً فراعها ذلك فصاحت : « ماذا يقول سليمان »

فقولها « ماذا يقول » ترجمته في اللغة الحبشية « منليك » ولذلك سمي به ابن ملكة سبا

س: ما عدد سكان الحبشة

ج : عددهم خمسة ملايين من الاحباش المسيحيين ومليونان ونصف من المسلمين واثني عشر مليوناً من الوثنيين

س : وهل يعيش هؤلاء كلهم براحة وسلام

ج : يعيشون بالراحة الممكنة . على ان الارض مخصبة والهواء معتدل والحرية مطلقة للجميع. اما الآداب العمومية فنقية لان الاهتمام بها عظيم. وفي المدن الكبرى مدارس للذكور تربي الاولاد أحسن تربية

س : نسيت ان أسألك عن نظام البوليس

ج : لا بوليس في الحبشة . فان كلا منا يحترم ملك الغير وحقوقه وعنواننا كلنا : « اغلق شفتيك وافتح بابك » ـ يريد قلة الكلام وكثرة الضيافة . انتهى

على ان تلك الامة الخارجة من غياهب الهمجية خروج الزهور من أكمامها لا تزال في ظلمة التعصب الديني والجهل الوخيم لذلك لا تحسن معاملة المسلمين من رعاياها على انها ستعلم خطأها حين يسقط عن عينيها برقع الجهل والغباوة وما سبب التعصب الذميم الا الجهل الوخيم اهـ من ترجمة بعض الكتاب

هذا ما اخترناه من العدد الاول وما بعده الا الاخبار المحلية »

وبرقيات الاسبوع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القول الفصل

محاورة في سعادة الامة (١)

نظر بعض أصحاب الافكار الصافية والعقول النيرة في كتب التاريخ نظر التأمل والاعتبار ووقف على شيء من أحوال الامم في اطوارها وأدوارها من بداوة وحضارة وهمجية ومدنية وقوة وضعف وصعود وهبوط وغلبة وانغلاب ونحو هذا من الصفات المتقابلة والشؤون المختلفة فحدا بهمته النظر بعين البصيرة الى طلب النظر بعين البصر والسير في الارض لمشاهدة آثار العالمين وتطبيق ما يرى على ما علم فضرب في الارض شرقاً وغرباً وخالط الامم عجماً وعرباً واكتنه الاخلاق واختبر العادات وشاهد سير العلوم والفنون ووقف على امهات الصنائع والاعمال وسبر قوى العقول والافكار ثم شرع في المقابلة والتنظير فتجلى له ان الاستعداد الفطري والقوى الطبيعية في تلك الامم واحدة وان اختلاف الحالات لم يأت من اختلاف المدارك والتفاوت في الاستعداد وان انتهى الى درجة يكاد يلتحق بها فريق بالعجماوات ويخرج من عداد الانسان ويرتقي بها فريق آخر عن النوعية الآدمية الى مصاف الملائكة وانما جاء من أمور عارضة وظروف خارجية . وأعمل فكره في معرفة مناشيء هذه العوارض وعلل هاته الطوارىء وارتقى في الاسباب الكثيرة وتبصر في تأثيرها فعرف كيف يمكن اتقاء العوارض المضرة وازالة الطوارىء التي دفعت في صدور

(١) نشرت في فاتحة العدد الثاني الذي صدر في يوم الثلاث ٢٩ شوال سنة ١٣١٥ هـ

بعض الامم فأخرتها وامسكت بحجزاتها عن التقدم الذي يرشدها اليه الالهام الالهي والقوى القدسية التي منحها الله للانسان . ثم رجع هذا العاقل الى وطنه وقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب وصار من اطباء النفوس القادرين على مداواة أمراض أمته وعجب لاغفال الجماهير من قومه هذا النظر وهذه السياحة حتى كأنهم عميان وصار يردد في نفسه هذه النصوص (أفلم ينظروا) (أولم يتفكروا) (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

ثم وجه عنايته لتنبيه قومه على ما استفاد في سياحته (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرى)

ولما ان جاء القوم للسلام عليه سألوه عن رحلته من حيث سهولة السفر ومشقته وما كان طعامه وشرابه فيه وعن منتزهات البلاد التي زارها فعذلهم بلطف على هذه الاسئلة واعتذر لهم عن نسيانه لهذه الامور وطفق يحدثهم عن معارف البلاد لا عن معازفها وعن مصانعها لا عن مراقصها واطال في الكلام عن الامم المتمدنة وعما رأى فيها من موارد الراحة السائغة وبرود النعمة السابغة حتى ادهشهم وكان يتكلم عن انفعال وتأثر، ويشوب كلامه بالتأوه والتحسر، فأثرت حالته في نفوسهم وحركت منها كوامن الغيرة واحب فريق منهم ان يبحث معه في سعادة الامم وشقائها، وشدتها ورخائها، وهبوطها وارتقائها، فاعترضه آخرون قائلين ان الكلام في هذا الموضوع يتعب البال ويزعج الخاطر وهو عبث لا يفيد شيئاً فان الامر كله لله وليس لارادة الناس أثر في أعمالهم ولا لاعمالهم أثر في منافعهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل ليس لهم ارادة أيضاً بل هم في الحقيقة كالريش في الفضاء تصرفه رياح الاقدار المتناوحة وتتلاعب به ولا ارادة ولا اختيار نستغفر الله لانكر الاختيار فانه مذهب أهل السنة ولكن الحقيقة ما قاله بعض المحققين (سني في الظاهر جبري في الباطن) فاجابهم أولئك قائلين: انكم تؤمنون بلفظ الاختيار دون معناه وكأنكم ترون ان حركة اللسان بلفظ الاختيار هي الفصل الذي يخرجكم من عداد طائفة الجبرية الذين اتفق اساطين علماء الملة على فسوقهم من الاعتقاد الحق ونبذهم بلقب الابتداع في الدين

اما علمتم ان الالفاظ لا تدخل في ماهية العقائد وحقيقة المذاهب وان الخلاف في اطلاق اللفظ على معنى متفق عليه يرجع الى الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه . أتزعمون انه لا واسطة بين الجبر والقدر وان الذين يسمون أهل السنة هم جبرية في الحقيقة لكنهم لما عجزوا عن الجواب على ما يستلزمه هذا المذهب من تخطئة تشريع الشرائع وانزال الكتب تستروا بلفظ الكسب والاختيار (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم). حاشاهم حاشاهم ونستغفر الله من هذا الضلال البعيد

فاجابهم السائح العاقل على رسلكم فما هؤلاء بجبرية ولا سنية ولا قدرية ولكن عموم الجهل جعلهم (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) واني رأيت الكثير من امثالهم في سياحتي في البلاد الاسلامية. كنت اذا ذاكرت المصري مثلا في أمر يتعلق بمصلحة وطنية يتوكأ على عكاز الجبر ويقول «هو بيدنا ايه» واذا كلمت سوريا في مثل ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستند على هذه العصا أيضاً ويقول « شوطالع باليد » وربما اردفوها على سبيل الاحتجاج بهذا النص الشريف (ليس لها من دون الله كاشفة)

كلمة حق أريد بها باطل وتمسكهم بها عرض زائل اذا رأيت ان ألمت ملمة بشؤنهم الخاصة كيف يجتهدون بتلافيها بما يستطيعون من الاسباب بل ويتعدون الاسباب الطبيعية الى ماليس بسبب اصلا ويتخذون الوسائل الوهمية التي يأباها الشرع وينبذها العقل كالاستعاذة بالعوالم غير المنظورة من الجن والشياطين والاستعانة بالاموات من العلماء والصلحاء يخاطبون هؤلاء لدى اجداثهم ويستنهضون هممهم بالصياح والصراخ وتقديم هدايا الفواتح . ويستنفرون أولئك بالعزائم والطلاسم واحراق البخور في المجامر ويستنبؤن عن حقيقة الامور بخطوط الرمل أو الطرق بالحصا وحبوب القول ويتعرفونها من الدجاجلة والعرافين

فتبين لكم كيف ان هؤلاء الحمقى قد جمعوا بين مذاهب المبتدعة على تضادها وتباينها وتخطوا أوساط الامور الى طرفي الافراط والتفريط فهم جبرية بازاء المصالح العامة وقدرية تلقاء منافعهم الخاصة

وقد نظرت في التاريخ سير العلوم واختبرت حالتها اليوم فرأيت العلماء الباحثين في مسائل الجبر والقدر والكسب قصروا انظارهم على مفهومات هذه الالفاظ وتقلسفوا فيها ولم يلتفتوا الى ماتحدث هذه العقائد في الارادة من الآثار وما يتبع تلك الآثار من الاعمال وما ينشأ عن تلك الاعمال من ضعف أوقوة فينبهوا الامة عليه

ألفوا فيها المتون والشروح وعلقوا عليها الحواشي والتقارير فمازادت الامة تأليفهم الا حيرة واشكالا وكانوا كجواب الجاهل ينفذ أحدهم السير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سحابة نهاره وعامة ليله ثم لا يدري هل ازداد بسيره قرباً أو بعداً (سيفرد المنار مقالة مخصوصة لهذه المسألة)

واما الذين لم يبلغ الجهل منهم مبلغ انكار الوجدان والقول بالجبر الصراح فهم يعلمون ان الاخذ بالاسباب عملا واعتقادا ارتباطها بالمسببات بحيث لا تتخلف عنها اذا تمت شروطها ولا تحصل الا معها هو الحق وان انكشاف الخطوب على أيدي الآخذين باسبابها التي سنها الله تعالى لها لا يقتضي انهم عاندوا الارادة الالهية وكانوا هم الكاشفين لها من دون الله تعالى

فخجل المحتجون بالجبر عند هذا البيان واتفق القوم كلهم على البحث مع السائح العاقل في شؤون ترقية امتهم وعن الاسباب التي ينبغي الاخذ بها للحصول على هذه الامنية الشريفة . واجمعوا على ان يكون البحث على طريق السؤال والجواب لانه أدعى الى إلقاء السمع وتوجيه الفكر وأقرب الى التنبه والتبصر وان يكون السائح هو السائل لانه اعلم بحاجج الامم لما أفاده العلم والاختبار ثم اذا اختلفوا في الاجوبة يحكمونه فيما شجر بينهم ويكون بقوله العمل وعليه الفتوى

فقال اني ملق عليكم مسائل متعددة في مواضيع مختلفة وكلها تتعلق بسعادة الامم وأطلب عليها كلها جواباً واحداً يؤدى بكلمة واحدة . فقالوا له يشبه ان يكون كلامك هذا من الالغاز والأحاجي فكيف السبيل الى حل معماه، وكشف مخباه، وكيف يكون الجواب عن الاسئلة في المواضيع المختلفة واحداً (ان هذا لشيء عجاب)؟

فقال لا عجب فان كل كثرة لابد ان تجمعها جهة وحدة فكما ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوحدة التي نسميها سعادة الامة لا تحصل الا بامور كثيرة ترجع الى شيء واحد وهو (سعادة الامة) كذلك وسائل هذه الامور الكثيرة التي منها تستمد مسائلي تؤول الى شيء واحد. «وسيلة ترجع اليها جميع الوسائل وسبب يجمع كل الاسباب» وهو الجواب الذي سأشرحه لكم ثم انشأ يسرد الاسئلة فقال

(س) ماهو الناموس الذي يحصل به الجذب والانجذاب بين العناصر المتفرقة ويحكم الالتصاق بين افرادها فيكون المجموع أمة واحدة وبماذا توجد الرابطة التي تجعل مدار هذا المجموع على محور واحد

(س) أي شيء يمحو من نفوس افراد الامة الأثرة والاختصاص بالمنافع دون قومهم ويثبت فيها حب الوطنية والجامعة الجنسية بحيث يرى كل واحد ان منفعته في منفعة أمته ومضرتها عين مضرته. بل ماهي الروح التي تنفخ في آحادها فتحيا بعد ممانها وتجتمع بعد شتاتها وتكون جسداً واحداً اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد فاني أرى هذا الروح هو المدبر لبعض الامم وكانه فقد من امتنا بالكلية فانتثر عقد اجتماعهم. وانحل تركيب بنيتهم. وتفرقت كلمتهم. ورزؤا بالتخاصم والتنازع. والتباغض والتحاسد. وأصبحوا و «باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون» وأنى يفقهون معنى هذه الحياة الجنسية وسر هاته الجامعة الوطنية. وكيف تحصل لهم. وبماذا توجد فيهم. وانى يجتمعون في صعيد واحد مع اختلاف منابتهم وتقطع وشائجهم

(س) اذا اعتقدت الامة بافرادها انحطاط المدارك وضعف العقول وعدم الاستعداد الفطري لاحتذاء الامم الاخرى فيما جاءت به من عجائب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصناعات وما استنبطته من دقائق العلوم والفنون لانها شاهدت الآثار التي انتهت اليها وهي في غيبة عن مبدأها وكيفية نموها فانى يكون تنبيهها الى ما أودع فيها من القوى الطبيعية والقدر الوهبية الكامنة في أرواحها ككمون النار في الحجران قدحته أورى ، وان تركته توارى، وانه ليس عليهم في ابراز آثار هذه القوى الا استعمالها فيما خلقت كما استعملها الآخرون

(س) اذا تمكن في النفوس اليأس من التقدم والقنوط من الترقي لاعتقاد ان زمن التدارك قد فات وانه لا يمكن مجاراة المتخلف لمن بلغ الغاية وان كان الاستعداد واحداً ، فعلت لذلك الايدي عن العمل كانما هي مشلولة ، ووقفت الارجل عن السعي حتى كانها مقطورة . (أي محبوسة في المقطرة وهي خشبة مثقوبة توضع فيها ارجل المحبوسين) فبماذا تنزع الاغلال وتكسر المقاطر وتنعم تلك النفوس بحلاوة الرجاء بعد مرارة اليأس وتندفع اندفاع الجياد القرّح الى طلب المجد المؤثل الذي تطلبه بحق وتجري فيه على عرق

(س) اذا حاول بعض أهل الثراء ان يحتذي شاكلة السابقين ويتلو تلو الشعوب المتمدنة فانشأ يقلدهم في أحوال معيشتهم التي انتهت بهم اليها طبيعة بسطة الملك وسعة الثروة فشيد القصور ونقش الجدران وزينها بالارائك والزرابي والسجوف والمصابيح وسائر أنواع الآنية والملاعون النفيس الذي يجلبه من بلاد تلك الشعوب . فكيف يمكن اقناع هؤلاء بأن هذا التقليد تذفيف على جرح الامة واجهاز على حياتها وبه ينضب معين ثروتها على انه ليس لديها من أمواه الثروة الى بقية وشل . وان التقليد النافع انما يكون في خدمة المعارف والسير في طرقها التي سار فيها أولئك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الاعمال النافعة التي هم لها عاملون

(س) كيف تحافظ الامم على اديانها ولغاتها وعوائدها النافعة اذا كانت مهددة من أمم أخرى بحكم ناموس تنازع البقاء . وكيف ظلت اللغة العبرانية محفوظة في ألسنة الاسرائيليين معما ابتلوا به من فقد السلطة والشتات في الاقطار وما رزؤا به من جور الحاكمين واضطهاد الظالمين . ولماذا فسدت ملكة اللغة العربية من ألسنة اربابها مع نموّ عمرانهم وامتداد سلطانهم

تسمع ولدان اليهود في روسيا والمانيا واستريا وفرنسا وانكلترا واسبانيا وافريقية وأميركا يتكلمون بلسان كتابهم (التوراة) على نحو ما كان يتكلم به أباؤهم الاولون . ولم يصدهم عن حفظه معرفة لغات الشعوب الذين هم عائشون في بلادهم . وشيوخ العلم في مصر والشام والعراق والمغرب بل وفي الحجاز واليمن يكتفون بوجود لغة (القرآن) في مطاوي الكتب وبطون الدواوين

(س) كيف يمكن التفلت من اشراك العادات الرديئة وأحابيلها . والتفصي من عقل التقليدات المضرة التي أوقفتنا عن السير وأحدثت فينا قناعة البهم وبغضت الينا كل جديد وان كان فيه سعادتنا وقد استحكمت بتوالي الايام وكرور السنين . وقويت على سلطان العقل وارشاد الدين حتى اعتقد الآخذون بها حسنها وأنكروا على من أخلّ بشيء منها «ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً» اما والله لو أن أجسادنا هذه تدبرها أرواح كارواح أباثنا الاولين لكنا نحن السابقين الى كل ما يسمى اختراعاً واكتشافاً وعملاً نافعاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(س) اننا نرى كثيراً من الاخلاق والعادات لها وجهة للخير ووجهة للشر يجتني نفعها أناس ويصاب منها بالضرر آخرون . فكيف يتفرع عن الاصل الواحد فروع مختلفة وآثار متباينة . وبماذا اهتدى الاوربيون للانتفاع من اختلاف رجال العلم ورجال السياسة وتنازعهم وتبينوا من هذا الاختلاف والتنازع محجة الصواب وحقيقة الامر حتى كان نور الحقائق العلمية والمصالح السياسية لمعان البرق لا يظهر الا بين الايجاب والسلب

ولماذا كان الاختلاف والتنازع في الشعوب الشرقية حجاباً على وجه الحقيقة وغشاوة على عين البصيرة تضيع فيه المصالح وتندرس رسوم المنافع حتى كان تصادم أفكارهم تصادم القوارير

(س) ماهو الغاسول المطهر للاذهان من أقذار الوساوس والاوهام التي توقع في الخوف مما لا يخيف ورجاء ما لا يفيد وبماذا يكون ترميج (افساد السطور المكتوبة) ماسطر في ألواح النفوس من أساطير الخرافات أو محوه بالكلية . ورسم آيات الحكمة واثبات نقوش الحقائق على هذه الالواح الشريفة القدسية

(س) بما ذا يعرف المجد الصحيح من المجد الباطل والكمال الحقيقي من الكمال الوهمي فتحول مجاري نفقات الافراح والاحزان من الولائم والوضائم وما يتبعها الى التعليم والتربية ويستبدل تشييد المكاتب والمدارس الوطنية بتشييد القصور على القبور (الاحواش) الذي استن المصريون فيه بسنة «خوفو» و«خفرع» و«منكورع» الذين شادوا الاهرام لحفظ جثثهم الشريفة

(س) ما هو العلاج الذي يستأصل جراثيم الفساد والداء القاتل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« لميكروب » الادواء الروحية الشافي من الامراض القلبية التي تتولد عنها الآثام والموبقات

(س) متى تقل الامراض الجسدية ويتزين مجموع الامة ببرود الصحة الضافية ويلقون عن عواتقهم اسمال الامراض وأخلاق الاسقام ويقل فيهم فتك الاوبئة اذا لم يمكن محو هذه المصائب بالكلية

(س) بماذا تحصل الثروة للامم فاننا نرى بعض الشعوب استولى عليها الفقر المدقع فلا يوجد فيها من الاغنياء الا افراد قلائل والكثير منهم مانال الثروة بطرق مشروعة واعمال شريفة والسؤال انما هو عن ثروة الأمة من الطرق الشريفة المشروعة . ولو وزعت ثروة من ذكرنا على الامة بالتعديل لم تخرج من عداد الامم الفقيرة (قال السائل الحكيم) واذا قلتم زراعة . صناعة . تجارة . فاني لا اعتد ذلك جواباً بل هو يحملني على التفصيل بالقاء اسئلة أخرى في موضوع الثروة فأقول .

(س) ما الوسيلة الى تحسين حالة الزراعة بحيث تفيض الارض بالخيرات والبركات التي هي كنوزها الحقيقية . ولماذا كان أهالي فرنسا بل وأهالي زيلندا (جزيرة في البحر المحيط) أكثر ثروة زراعية من أهالي مصر بالنسبة لمساحة الارض مع ان أرض مصر أخصب تربة ورجالها أكثر جلداً على العمل وعندهم النيل الذي ليس له في زيلندا ولا في فرنسا نظير .

(س) ما الذريعة الى اتقان الصناعة وتوسيع دائرتها والتفنن في تنويعها بحيث تكتفي بها الأمة وتحفظ ثروتها عن اغتيال الاجانب لها وجعلها عالة عليهم ثم تكفي غيرها من الامم التي أصابها مرض الجهل والكسل فاقعداها عن الاعمال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(س) ماهي الطريقة للتصرف باساليب التجارة التي عليها مدار الثروة الاكبر والتي هي من الصناعة والزراعة كالقوة المتصرفة من المعلومات والمدركات . أو كالشرايين والاوردة لدم الانسان والحيوان

(س) كيف تسني لافراد من طلاب الكسب الاجانب احتكار ماء النيل وماء نهر الكلب (نهر في لبنان تجره الى بيروت شركة اجنبية) كما تحتكر السلع وعروض التجارة وبيعه لاهل البلاد بالمال . ومن كان (لولا المشاهدة) يصدق ان الامة تنحط الى دركة لا يمكن للوطني معها ان يتناول جرعة من ماء بلاده الا اذا اقتضى الاجنبي منه ثمنها المعلوم عن رضى واختيار (أما وسر العلم والاجتهاد لو وجد مثل هذا الخبر في كتب تاريخ الامم القديمة لعد من هذيان القصاص المولعين بتلفيق الاكاذيب للاعجاب والاغراب)

(س) بماذا تحرز الامم القوة والمنعة وتعقد على ألويتها الغلبة والظفر وكيف استولت انكلترا على ممالك الهند وعلى استراليا والكاب والنيجر وكندا وكيف استولت فرنسا على بلاد الجزائر وتونس والسنغال ومدغسكر وأنام وكمبوديا وكوشين صين وتونكين وكيف استولت هولندا على كذا والمانيا على كذا

(س) كيف يسهل على نفر قليل الاستيلاء على شعب كبير يصرفونه في مصالحهم ويستخدمون افراده في منافعهم ويستعملونه كما تستعمل الدواب والانعام بل يديرونه كما تدار الآلة الصماء وهو لا يدري علة هذه السلطة ولا وقوف لافراده على حقيقة اسبابها ولعله لا يتفكر فيها أيضاً كأنما فقد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كل احساس وشعور

(س) كيف أمكن للاميركانيين إلقاء السلطة الانكليزية عن عواتقهم وطرح أوزار سيطرتها عن كواهلهم واتحاد ولايات بلادهم تحت لواء واحد تستضيء بنجومه امم ويخشى من شهبه آخرون . حتى ان أوربا تحذر منه على مابقي لها في العالم الجديد وتتوقع تنفيذ قول مونرو « أميركا للاميركيين» وبالجملة

(س) ما هي الآلة الرافعة للمتطوحين في عواثير التعاسة والشقاء والمتدهورين في مهاوي الخذلان . وما هي المدارج التي ترقى فيها الامم الى المدنية الصحيحة والمعارج التي تصعد عليها الى مراتب الكمالات الصورية والمعنوية، من دينية ودنيوية، وما هو النور الذي يستضاء به في ظلمات الجهل والغباوة والمنار الذي يهتدى به في مهامه الحيرة ومجاهيل الخطوب ؟؟

فلما فرغت المسائل، وسكت السائل، وطلب ما عند القوم من الجواب ابتدر أحدهم فقال لاشك ان الامراء والحكام هم الذين يكوّنون بنى (جمع بنية) الامم وينفخون فيها روح الوحدة . وينشقونها نسيم الحياة الوطنية . ويمدون فيها جداول الثروة بما يمهدون من طرق الكسب ويحفرون من الترع وينون من المعامل والمصانع ويهيئون من الآلات والادوات الخ ما اشرتم اليه من أسباب السعادة

فرد عليه السائل قائلا اذا فرضنا ان الحكومة غنية مع فقر الامة وأمكنها أن تعمل كل هذه الاعمال فهل في استطاعة الحاكم أن يقتلع من نفوس الامة جراثيم الاخلاق الذميمة وينقي منها بذور العادات الرديئة التي تنجم عنها الافعال المضرة ويغرس فيها أشجار الاخلاق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفاضلة والسجايا الجميلة التي تثمر الاعمال النافعة ؟ كلا ان من يلقي التبعة كلها على الحكام مخطىء في حكمه واني رأيت أكثر الامم الشرقية لا يرون لانفسهم جوداً الا بالحكام ويرون ان صلاح الامة وفسادها وغيها ورشادها وصحتها ومرضها وغناها وفقرها بل ومحياها ومماتها كل ذلك بيد الحاكم حتى كأن الحاكم بيده ملكوت شيء وهو يجير ولا يجار عليه وكأن هذا الوهم متسلسل فيهم بالارث من عهد من قال « أنا أحيي وأميت وعهد من قال « أنا ربكم الاعلى » وجهلوا أن الحاكم ليس الا رجلا من الامة وان الحاكمية مازادت في فضائله ولا منحته قوة فوق القوى البشرية بل ربما أفسدت أخلاقه وأسقمت مداركه (كما شوهد في البعض) والصواب ان اصلاح الامة لا يكون من الحاكم نعم ان الحاكم اذا ساعده يكون أسرع سيراً وأقرب نجاحاً . ثم انبرى آخر للمجاوبة وقال

ان الطريق الوحيد لانهاض الامة من ضعفها وإقالة عثرتها واقامتها في مصاف الامم القوية انما هو تسليم ازمة أمورها الكلية الى رجال من سادة تلك الامم يقيمون فيها القسط ويرفعون لواء العدل والمساواة ويغلون أيدي المتسلطين عن التعدي ويجتثون شجرة الرشوة الخبيثة من أصولها ويعممون فيها الامن وينشئون المعامل والمصانع ويسهلون الطرقات ويقربون الابعاد بما يمدون من السكك الحديدية واسلاك التلغراف والتليفون ويوسعون دائرة الاكتساب بانشاء الشركات المالية التي هي أس جميع أنواع التقدم من زراعة وصناعة وتجارة وينشرون المعارف الصحيحة التي لا توجد الا في لغاتهم فلا يمضي على الامة أربعون سنة حتى تنشأ خلقاً جديداً

فقال السائل وقد اضطربت نفسه وانفعلت روحه وتبيَّغ دمه حتى كان يتفصد من وجهه

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفا كا

لقد أخطأ ظنك يا أخي واستحوذ عليك شيطان الوهم ولقد نثرت الملح على جرحي بجوابك هذا اما علمت ان ساسة تلك الامم الذين أشرت الى تسليم كليات الامور اليهم قد تربوا في بلادهم على حب أوطانهم ووقف حياتهم على نفع أمتهم وقد تطبعوا على ذلك عملاً فصار ملكة راسخة في نفوسهم تصدر عنها جميع حركاتهم وسكناتهم من غير روية ولا تكلف . وان جميع ما يبرز من أعمالهم مفيداً للامة التي يتولون اصلاحها في الظاهر لا بد ان يكون في باطنه منفعة لأمتهم فان المنفعة هي القطب الذي تدور عليه رحى أعمالهم فلا ينشرون من المعارف في البلاد الا ما يشرب القلوب حبهم واعتقاد عظمتهم ويفسد على الاهلين لغتهم وعوائدهم وتقاليدهم التي كانوا بها أمة ممتازة عن غيرها مستقلة في وجودها

ولا يوسعون دائرة الكسب الا للعارفين باساليبه من أبناء طينتهم فتسهيل طرق الثروة حسية ومعنوية وتعميم الامن والضرب على أيدي المتسلطين كل ذلك وسيلة لتمكنهم في الارض وسد ابواب الثروة عن أبناء الوطن وتحويل تلك الابواب والمجاري الى الآخرين

نعم ان الوطنيين يتمتعون منها بقليل من الراحة التي تزيد في كسلهم وتقاعدهم حتى يؤول الامر الى امتلاك الاغيار لاراضيهم الواسعة ويتخذونهم اجراء ومزارعين فيعلمون كيف دس لهم السم في الدسم حين لا ينفعهم العلم . سألت عما ينهض بالامم، فاجبتني بما يقذفها في تيهور العدم ويهبط

www.alukah.net

بها الى أسفل سافلين

ثم تصدى للجواب رجل ثالث فقال ان الجرائد الحرة هي التي تنبه أفكار الامة وتنير عقولها بنشر المعارف وترشدها الى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وتدلها على أساليب المدنية وتزعجها الى العمل بها تارة بالترغيب والتنشيط وطوراً بالترهيب والتحذير من عواقب التفريط وتحرك من نفوسها كوامن الغيرة التي تدعو الى المنافسة والمباراة الى غير ذلك من الفوائد التي لا تعزب عن علمكم

فقال السائل ان الجرائد وان كان لها الشأن العظيم عند الامم المدنية والاثر المشهود في سير مدنيتهم التي تعتبر الجرائد كالحداة له الا انها ليست هي الموجدة لتلك المدنية . فاذا لم يوجد في الامة سير الى المدنية الفاضلة فلماذا يكون الحداء . نعم ينبغي أن تنشأ عندنا جرائد لاجل الحث على الاجتماع وتعيين الغاية التي ينبغي أن تقصد والوجهة التي يجب ان تولى ثم الحث على السير الى تلك الغاية في الطرق الطبيعية التي سنها الله تعالى لها وهدانا الى سلوكها ثم الحداء الذي يسهل على السائرين احتمال المتاعب وقطع المسافة مع النشاط والارتياح

ولا أقول ان الجرائد هي المصلحة لحال الامة بل هي مساعدة على الاصلاح اذا صدقت وأخلصت وأفضل عملها ايصال أفكار الطبقة العاقلة من الامة الى سائر الطبقات تحت مبدإ واحد شريف فانما المدار على الوحدة كما أشرنا أولاً

ثم التفت الى القوم فقال هل بقي عندكم شيء من الاجوبة فاجابوا بلسان واحد لا وانا نطلب الجواب من حضرة السائل الحكيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال ان الجواب الصحيح الذي قلت انه وسيلة لسعادة الامة تجمع كل الوسائل وسبب يرجع اليه جميع الاسباب هو « تعميم التربية والتعليم » وهذا اللفظ تلوكه الالسنة كثيراً الا ان معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل . فان كنتم في ريب مما قلت فاني مستعد لاقناعكم . وان أذعنتم ولم توجهوا كل قواكم العقلية والمالية للحصول على هذه الرغيبة فانتم العاملون على ضياع أوطانكم وخائنون أمتكم وملتكم

مجمل الاحوال السياسية

المعنا في العدد الماضي الى أمهات السياسية الحاضرة وتكلمنا على بعضها ووعدنا بالكلام على باقيها فيما يأتي من الاعداد وانجازاً للموعد نأتي على بيانها بالاجمال على الوجه الذي يوجب العظة والاعتبار مبتدئين بتمهيد في بيان الاستعمار الذي هو منشأ هذه الاحوال فنقول :

من طبيعة العمران البشري استيلاء القوي على الضعيف ومن هنا كان طلب الفتوح والتغلب طبيعياً في البشر . ولم يكن في العصور الاولى طريق للفتوح والتغلب الا الحرب العوان التي لم يلق الانسان أوزارها عن عاتقه في دور من الادوار ولقد انطبعت الانفس عليها بالعمل المتكرر حتى كادت تكون مقصودة لذاتها أعني الفتك المجرد عن ملاحظة المنفعة التي عليها مدار جميع أعمال الانسان . وأول تغيير مهم حصل في تاريخ الحرب خفف ويلاتها وجعلها في ضمن دائرة معقولة ماجاء به الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلامي وان لم يجر عليه المسلمون في بعض حروبهم وغزواتهم (*

وسنفرد للكلام على تاريخ الحروب فصلا مخصوصاً ونكتفي الآن باثبات الآية القرآنية الشريفة التي تسمى (آية الجهاد) وما يتلوها من الآيات المبينة حكمة الحرب وسبب الاذن فيه وما يشترط في المحاربين اثباتاً لقولنا وهي

(أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز. الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

وهذه الآيات صريحة في ان الفائدة من الحرب ينبغي أن يلاحظ منها منفعة المحاربين (بفتح الراء) بالارشاد الى ازالة المنكرات وعمل المعروف بواسطة التعليم لا بواسطة الجبر والالزام وهذا هو الذي تدعيه الامم الاوربية اليوم حيث يزعمون ان غرضهم من الفتوحات نشر المدنية وتهذيب الامم المتوحشة

واذا أنكرنا صدقهم في هذه الدعوى وجزمنا بان الغرض الصحيح تحويل مجاري الثروة من البلاد التي يفتحونها الى بلادهم وفتح أبواب الرزق لامهم فلا ننكر عليهم الاجتهاد في تخفيف مصائب الحروب والتباعد عنها ماوجدوا الى ذلك سبيلاً . والاصل الذي تعتمد عليه تلك

---

*) راجع ص ٤٥٥ من المجلد ٥ و٢٩٧ ج ٦ و٧٦٨ من ٧ و١٦٥ ج ٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الامم في ذلك وهو أساس مدنيتهم ودعامة قوتهم الاقتصاد وتوفير الثروة ولذلك جعلوا وسيلة الفتوح الكبرى الشركات التجارية التي تستولي على الافكار والعقول بواسطة التربية والتعليم ونشر لغات أممهم وآدابها وغيروا اسم الفتوح والتغلب فسموه استعماراً واكتفوا بالقبض على زمام السلطة بالفعل وابقوا للامراء الشرقيين ألقابهم الضخمة يتمتعون بها في الهند نحو من تسعين ملكا مابين نواب (الامير المسلم) وراجا (الامير الوثني) وليس لهم من الامر شيء الا ماينفذون به ارادة الحكمدار الانكليزي ويأتمرون بأوامره (الا قليلا منهم)

وتبارت تلك الامم في الاستعمار وانحدرت على الشرق انحدار الغيث المدرار حتى لم يبق صقع من أصقاعه ولا قطر من أقطاره الا وتدفق عليه هذا السيل المنهمر فمنها ماأدركته بوادره ولا ندري ماذا تكون أواخره وبالجملة لم تبق مدينة ولا قرية الا وأصابها شيء من رشاشه فان لم يصبها وابل فطل

هذا هو الاستعمار الذي هو منشأ جميع المشاكل السياسية الحاضرة ومثار الخلاف بين الامم ومولد الفتن بين الدول وقد ذكرنا لك بعض هذه المشاكل واليك بيان بعض آخر

الهند

مستعمرة عظيمة شرع الانكليز في تأسيسها عند ماأحسوا بخيال الحرية يطوف في أذهان الاميركيين الذين استعمروهم من قبل وعلموا ان التربية الصحيحة وتعلم الفنون العقلية والعملية لا بد أن ينفخ فيهم روح الثورة فيهبون الى طلب الحرية والاستقلال

ولقد صدق الظن ووقع ما كانوا يحذرون واستغنوا بممالك الهند الفسيحة عن ولايات أميركا التي أتحدث على محاربتهم فتسنى لها الظفر عليهم واستقلت فسميت (الولايات) . وهم يحذرون اليوم من الهنود ما لاقوه من الاميركيين من قبل وان كانت وسائل التربية عند هؤلاء ضعيفة والعلوم لم تنشر الى الدرجة التي ينشأ عنها مثل تلك الاعمال التي صدرت من الاميركيين لكن الامة الانكليزية الحكيمة تبني حياطها على أسس الاحتياط ولذلك عملت على انشاء مستعمرة عظيمة في أفريقية تستغني بها عن الهند اذا أتيح لها التفصي من عقلها والتملص من سلطتها بواسطة انتشار التعليم أو بمساعدة دولة روسيا الطامعة فيها ومع هذا لم تأل جهداً في سبيل المحافظة عليها فقد جعلت لها السلطة على ترعة السويس التي هي طريق الهند بحراً واكتفت بالسد المنيع الذي بينها وبين روسيا من جهة الشمال وهو الامة الافغانية التي لا تجهل روسيا قوتها ومنعتها وحفظت بريطانيا العظمى لهذه الامارة الصغرى حقوق الجوار وساعدتها على تقوية بلادها بالمال والرجال وعقدت معها المحالفة كما هو الشأن بين الاكفاء والامثال

ثم لما شمرت بدبيب الروس نحو تلك الحدود حاولت امتلاك المضايق وشعاب الجبال والاستيلاء على جميع المراكز الحربية وساعد الامة على ذلك قبض حزب المحافظين على زمام الحكومة ومن سياسة هؤلاء توسيع دائرة السلطة في كل آن خلافاً لحزب الاحرار . وفي العام الماضي تحرشت العساكر الهندية الانكليزية بالقبائل المستقلة في الحدود الهندية الافغانية

ابتداء إدخالها تحت الحماية البريطانية فنفرت تلك القبائل خفافاً وثقالاً ودافعوا عن استقلالهم واستنفروا من في جوارهم من القبائل واستفحل أمر الفتنة وكانت الحرب سجالا بل دارت الدائرة في الاكثر على الانكليز . فجهزوا جيشاً عرمرماً يربي على السبعين الفا فجاء الشتاء ولم يقووا معه على اطفاء نار الثورة فارجأوا الحرب الى فصل الربيع . ونادى اللورد سالسبري رئيس الوزارة بعدم الحاجة الى توسيع نطاق الملك وقالت التيمس بعد بحث طويل في حرب الحدود ان انكلترا لا تموزها الاراضي الآن فيجب ان تغض الطرف عن المضايق التي تسمى لامتلاكها الا مضيق خيبر . ثم قالت بعد : ان قبائل الافريدس أولو قوة وأولو بأس شديد وعندهم الامانة فاذا وكل اليهم حراسة ذلك المضيق قاموا به احسن قيام .

ولا يخفى ان هذه القبائل اشد الثائرين شكيمة فقول التيمس ينبئ عن تعسر اخضاع المعماة أو تعذره . وقد اعلن قائد الجيش الهندي اخيراً انه مستعد لاخضاعهم بالقوة اذا لم يستسلموا بأنفسهم ويتوقع اعادة الكرة قريباً والله أعلم بمصير الامور

وقد منيت الهند في العام الماضي بالطاعون وعاودها في هذه السنة فتك فيها فتكا ذريعاً . وهو الآن آخذ بالتناقص لذهاب البرد . وقد اتخذت الحكومة وسائل صحية مخالفة لعادات أهل البلاد وتقاليدهم فثار بعضهم على الحكومة واعتصب عمال المرافىء كلهم في الاحتجاج عليها فراجعت الحكومة نفسها واباحت أموراً كانت حظرتها كما ترى في الاخبار التلغرافية (*

*) لم تنشر الاخبار التلغرافية في هذه الطبعة لعدم الحاجة اليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كوبا

أما جزيرة كوبا فهي اكبر جزائر الانتيل وسكانها زهاء مليون ونصف وعاصمتها هافانا. وهي من مستعمرات الاسبان وقد ثار سكان الجزيرة على الاسبان يطلبون الحرية فارسلت اسبانيا الجنرال ويلر لاخضاعهم بعد اخضاعه جزائر فيليبين في بحر الصين التي انتقضت عليها أيضاً. فسلك الجنرال ويلر مع الكوبيين مسلك القسوة والشدة فازدادت نار الثورة احتداماً. فانتدبت اسبانيا المرشال بلانكو مكان الجنرال ويلر فعامل الكوبيين أحسن معاملة واضعاً السيف في موضع السيف والرفق في موضع الرفق. وقد اجاب طلب الكوبيين فانالهم برضى الحكومة الاسبانية حكومة مستقلة تتولى ادارة الجزيرة ففرح الكوبيون وظن الناس ان الثورة قد خمدت نارها غير ان هذا الاستقلال الاداري لم يرق للجنة الثورة التي في نيويورك فان غرض هذه اللجنة انالة كوبا تمام الاستقلال ويزعم البعض ان للولايات المتحدة يداً في تحريك تلك اللجنة حملا لها على رفض ما عرضته اسبانيا عليهم من الاستقلال الاداري طمعاً في تمام الاستقلال.

وزعمهم هذا مبني على رغبة أميركا في تحرير كل المستعمرات الاوروبية في الاقطار الاميركية عملاً بقانون مونرو. والمقصود من قانون مونرو قسمة الكرة الارضية الى قسمين عظيمين. قسم تسوسه الممالك الاوربية فلا تمد اليه أميركا يداً وقسم تسوسه الولايات المتحدة فلا تمد له أوربا يداً. وبمقتضى هذا القانون يجب أن تخلي الدول الاوربية للولايات المتحدة عن جميع مستعمراتها في الاقطار الاميركية.

فاضرمت اللجنة المذكورة نار الثورة ثانية فساد الهرج في عاصمة الجزيرة فانفذت أميركا الى مياه تلك العاصمة الدارعة (ماين) وهي أضخم دوارعها فساء ذلك الحكومة الاسبانية حيث حسبته عدواناً أو تشديداً لعزم الثائرين فاخبرتها حكومة الولايات ان القصد من ارسال الدراعة ماين الى هفانا حماية رعية الولايات المتحدة وتودد للامة الاسبانية. فاجابتها اسبانيا وانا أيضاً سأنفذ احدى دوارعي الى مياه نيويورك تودداً للامة الاميركية

ثم اخلد الثائرون الى الاستكانة فهدأت الخواطر وشهدت الصحف الاوروبية ان الدولة الاسبانية قد صنعت كلما يمكنها صنعه ومنحت الثائرين مع انتصارها عليهم فوق ما كانوا يطلبون . غير انه لم يطل وقت السكينة حتى نشرت لجنة الثورة في نيويورك كتاباً خصوصياً كتبه سفير اسبانيا في واشنطون وسرقه أحد الكوبيين وقد جاء في الكتاب ماخلاصته : ان رئيس الولايات المتحدة يعد في السياسة من الطبقة السفلى وهمته في استرضاء رعاع الاميركان . فاكبرت الولايات المتحدة هذا الكتاب وطلبت عزل السفير الا ان السفير كان قد قدم استعفاءه عند ما علم بنشر الكتاب .

ولم تكد تسكن الخواطر اثر هذا الحادث حتى تلاه حادث اقام الامة الاميركية وأقعدها وهو انفجار الدارعة ماين انفجاراً ذهب بها في لحظة الى قعر البحر فقتل من بحارتها زهاء المائتين ولم يسلم منهم غير القليل .

وحسب الاميركان ان الانفجار كان مسبباً عن نسف خارجي أقدم عليه الاسبان تشفياً وانتقاماً فقامت الجرائد تثير خواطر الامة وثارت الامة تطلب الحرب فأنفذت الحكومة الاميركية الى موضع الانفجار

لجنة لتحقيق تلك الحادثة المحزنة . فوصلت اللجنة الى موضع الحادثة وشرعت في التحقيق وهي تكتم ماتحققه كل الكتمان الى أن تقدم باكتشافاتها تقريراً مفصلاً

على ان الدولة الاميركية تجدّ في الاستعداد للحرب فاضطرت اسبانيا الى مجاراتها في ذلك الاستعداد . وقد قررت الحكومة الاميركية خمسين ألف ألف دولار للدفاع وابتاعت طرادين وحصنت القلاع والحصون التي على الشطوط وحشرت عليها نحو مائة ألف من الجنود . وقد نقل البرق في هذا الاسبوع ان اسبانيا أبلغت أميركا ان الحرب لمثل تلك الاسباب جناية على الانسانية .

وقد أرسلت اسبانيا من قبلها لجنة لتحقيق حادثة الدراعة ماين فقررت اللجنة الاسبانية المذكورة ان الانفجار كان من من الداخل لا من الخارج وستتمسك اسبانيا بذلك على ماروته الرسائل البرقية . على ان جميع العالم المتمدن في انتظار تقرير اللجنة الاميركية . فان جاء فيه ان الدراعة ماين نسفت من الخارج بخيانة شبت نار الحرب بين الامتين وان جاء فيه ان الانفجار كان عرضاً بقيت كاس السلم صافية والله أعلم

اليهود في فرنسا وفي مصر

قبل ان لبس بونابرت تاج الامبراطورية كانت حجته القوية لدى الشعب الفرنساوي دفاعه عن الحرية العمومية وخدمة المبادي الجمهورية . غير انه بعد ارتقائه العرش الامبراطوري لم يأل جهداً في محو تلك الحرية

ودوس تلك المبادي الدستورية .

وهـذا شأن الانسان في كل آن يطلب الحرية مرؤوساً ويكرهها رئيساً ، يستنجد العدالة مظلوماً وينبذها ظالماً ، الامن وفقه الله وقليل ماهم

لقد شاعت أنباء المشاكل السياسية الداخلية التي قامت في فرنسا إثر مسألة دريفوس وقضية زولا وما قاساه اليهود فيها من الاهانة والاضطهاد وسوء المعاملة . ولا يحسب القراء ان هذا الاضطهاد قد نشأ عن تعصب ديني في الامة الفرنسوية وكيف وهي أقرب الى وهن العقيدة منها الى التعصب الذي مثاره الغلوّ في الدين . اما مصدر هذا الاضطهاد فالتعصب الجنسي والحسد الذميم أثارهما في صـدور الامة فئة من أرباب الجرائد المعادين لليهود الطامعين بما في أيديهم من خزائن الاموال

على ان تلك الحوادث القبيحة لو جرى مثلها بين الشرقيين لطبق السماء صراخ تلك الجرائد وسلقت الشرقيين وآدابهم بالسنة حداد وأقلام أنفذ من السهام . بل لو كانت تلك الجرائد في بلاد تكون فيها ضعيفة الجانب ضعف اليهود في فرنسا لكانت أسرع الناس طلباً للحرية المطلقة والعدالة العامة للبشر على اختلاف أجناسهم . وهذا معنى قولنا يستنجد الانسان بالعدالة مظلوماً وينبذها ظالماً .

ومن الغريب ان داء الجرائد الافرنسية قد سرى الى بعض الجرائد المصرية . فقامت تصلي اليهود ناراً حاميـة وتأخـذ عليهم في مهارتهم في الـكسب وتفننهم في أساليب الربح . اما نحن فرأينا ان الحرية العمومية ليست مختصة بفريق دون فريق . فان التمدن الصحيح والعدالة الحقيقة يفرضان المساواة المطلقة بين جميع بني الانسان في المنافع العمومية . والعمل

والكسب بالطرق الشرعية فضيلة من الفضائل الاجتماعية. وللانسان أن يعمل ويربح بالطرق المشروعة ما استطاع الى ذلك سبيلا ومن يعترضه في ذلك فقد اعترض مبدإ الحرية العمومية .

ولذلك لا ترى عاقلا من عقلاء الامة الافرنسية راضياً عما نال اليهود في فرنسا من الاضطهاد قديماً وحديثاً . وقد سمى ذلك بعض كبار فلاسفتهم مرضاً من الامراض العارضة وأمل ذهابه بتقدم المدنية والآداب العمومية

فالمأمول أن لا يدخل الكتاب في هيئتنا الشرقية عاملا جديداً للنزاع والنزاع والشقاق فحسبنا ما لدينا من تلك العوامل القبيحة . وإنا الآن أحوج الى عوامل الاتفاق منا الى عوامل الشقاق .

وعسى أن يستفيد اخواننا الشرقيون لاسيما المسلمون منهم بما نقص عليهم من أحوال الامم (وما يتذكر إلا من ينيب) .

اهـ ما اخترناه من العدد الثاني

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التربية والتعليم

ذكرنا في العدد السابق من جريدتنا مقالة مضمونها ان من ينظر في تاريخ الامم ويكتنه شؤنها يتجلى له ان القوة والمنعة والغنى وبسطة الملك وسائر موارد السعادة مناطها تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي ينبغي. وهذا الامر وان كان بديهياً عند العارفين بالتاريخ لان الوجود الانساني كله شاهد به ودليل عليه فالسواد الاعظم من أمتنا غافل عنه لا يرجع اليه طرفاً ولا يصيخ له سمعاً والمتنبهون افراد قلائل يرددون الصيحات والنبآت ولا ملبي ولا مجيب « كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الاّ دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون »

وان تعجب فعجب قول من سمع الصيحة منهم ان هذا لا ينفع ولا يفيد. ويحتجون بحجج داحضة ذكرنا في المحاورة السابقة منها حجة الجبر وسلب الاختيار وأتينا على تزييفها بما يقطع ألسنة المتشدقين بها بقدر ما يحتمله المقام وبقي لهم حجج أخرى واهية تنبيء عن قلة الاختبار. واننا قبل بسط الكلام على التربية والتعليم نورد ما يثرثر به الكثير من الناس في الاحتجاج على عدم الفائدة منهما ونبين فساده ليكون ذلك أدعى الى تأمله والنظر اليه بعين الاعتبار. ومن الغريب ان ما ادعيناه في المقالة السابقة من ان سعادة الامة في التربية والتعليم مبني على المشاهدة والاختبار التام وكذلك شبه هؤلاء على عدم فائدتها تستند على اختبار ومشاهدة لكن ناقصين غير تامين واني مورده عليك فاستمع لما يتلى

*) نشرت في فاتحة العدد ٣ الذي صدر في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٥ — ١ مارث سنة ١٨٩٨

www.alukah.net

احتجاجهم على عدم فائدة التعليم في إصلاح الامة

قالوا انا رأينا كثيراً ممن درج في حجر المكاتب ثم عرج منها الى حجرات المدارس العالية فتلقى العلوم والفنون وظهرت عليه امارات النجابة حتى صار قبلة آمال الوطن ومنتهى رجاء أهله ثم لما ألقيت اليه مقاليد الامر فيه كان كلاً على كاهله وقذى في عينه بل كان جائحة متلفة لثماره وصاعقة منقضة على دياره لا يسعى الا لمنفعة شخصه وتنمية ماله وان تلفت في سبيله مصالح العالمين

ومنهم من كان عوناً للاجنبي وعتاداً على امتلاك بلاده يمهد له الصعاب، ويزيل من امامه العوائر والعقاب، ويسهل احتمال سلطته على النفوس بل منهم من باع للاجنبي بلاده بثمن بخس (وكل ثمن تباع به الاوطان فهو بخس) أو وعدٍ بانه ينيط به بعض الوظائف أو يكون مقرباً من جنابه الرفيع. فما أغنت التربية عن امثال هؤلاء وماذا افادهم التعليم؟ اما والله لو لم يتعلموا لما تسنى لهم اقتراف هذه المنكرات ولما فطنوا الاساليبها واهتدوا الى طرقها ولكانت مضراتهم محصورة في دائرة ضيقة مخصوصة بنفر قليل

هذا بالنسبة للذين تعلموا العلوم السياسية والحقوقية واما الذين تعلموا العلوم الشرعية الاسلامية فانا نرى الكثير منهم ايضاً قد اتخذها فخاً لصيد الدنيا. يحتال ويعلم الناس الحيل لهضم حقوق الله وحقوق العباد وإذا تبوأ منصباً (كقضاء أو افتاء) أو صار محامياً لا يأتي ان يجعل الحق باطلا والباطل حقاً ليشتري به ثمناً قليلا فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

والجواب عن هذا واضح وهو ان هؤلاء وإن تلقنوا بعض الفنون الا انهم لم يتربوا تربية صحيحة يغارون بها على دينهم ووطنهم والعلم من حيث انه ادراك لصور المعلومات لا يقتضي العمل ولئن اقتضى العمل فهو لا يستلزم ان يكون في وجوه الخير والمنفعة لبلاد العامل الا اذا تربى على ذلك . ثم ما يدريك ان المعلمين لهؤلاء الخائنين والمربين لهم في المدارس كانوا من الاجانب أو ممن اصطنعهم الاجانب فصبغوهم بصبغتهم، وجذبوا اعنة قلوبهم فقادوها الى محبتهم، وعلموهم كيف يعملون لمنفعتهم، أو غرسوا في نفوسهم اعتقاد عظمتهم وقدرتهم ،وانه لا يتعاصى عليهم أمر، ولا يعز عليهم مطلب، فذللوهم بذلك واستعملوهم كما تستعمل السوائم من الانعام، أو اقنعوهم بان السعادة لا تنال الا بايديهم، وان الاصلاح لا يأتي الا على أيديهم ، وان قطراً لم يحتلوه محروم من المدنية ورفاهة العيش لا ترى فيه القصور المشيدة، والسرر المنضدة، والطرق الفسيحة ولا تنشأ فيه الحانات والمواخير (أي مواضع الريبة وليس هذا من التهكم فان السكر والفحش من لوازم التمدن الحديث) الى غير ذلك من المحسنات فعملوا ما عملوا بناء على هذا الاقتناع فهم مجتهدون بأنهم ينفعون أمتهم من حيث ينتفعون بأنفسهم وفي كل صورة من هذه الصور ترى ان التربية والتعليم افادا المعلم والمربي فاجتنى بهما ثمرات المنافع من خصمه ومناصبه ، فكيف يكون أثرهما من مجانسه ومناسبه؟ لعمرك انه لعظيم

احتجاجهم على عدم الفائدة من التربية

قالوا نرى كثيراً من الولد ان يهمل أمر تربيتهم الوالدون فلا ينتهرونهم ولا يضربونهم ومع ذلك ترى عندهم الدعة ولين الجانب والدماثة والصدق

والوفاء والامانة الى غير ذلك من محاسن الاخلاق والاعمال . وبعكس ذلك نرى بعض الناس يعامله والده بالشدة والغلظة ولا يضحك في وجهه ولا ينبسط له واذا عمل عملاً قبيحاً صب عليه سوط عذاب أو كما يقول بعض العامة في بلاد الشام (امب العصا بجلدو) ومع ذلك تراه كذوباً مراثياً شرساً احمقاً خائناً ماكراً فاحشاً متفحشاً سباباً لعاناً وبالجملة منغمساً في الرذائل ملطخاً بجمأة المقاذر مسترسلاً في الفجور ولولا الاعتناء بتربيته لما بلغ هذا المدى ولا انتهى في الفساد الى هذه الغاية

والنتيجة من هذه المشاهدات ان الاخلاق مواهب وحظوظ وليست بالتربية . وان التربية ربما عادت على صاحبها بالخذلان وكانت كالدواء لم يصادف محله فاودى بمتناوله واورده مورد الهلكه

فموسى الذي رباه فرعون مرسل وموسى الذي رباه جبريل كافر

والجواب عن هذا في غاية الظهور واليك البيان . ان معاملة الوليد باللين والرفق وأخذه بالرأفة والحلم وعدم اهانته بالسب والشتم كل ذلك من أفضل اساليب التربية وانجعها وانجحها اذا لم يفته الى حد الاهمال وإرسال الحبل على الغارب، وان الشدة والقسوة والاهانة بنبز الالقاب وضروب الايلام مفسدة للاخلاق ومدعاة للشرور والفجور وان امهات الرذائل كالكذب والخيانة والمكر والاحتيال والمداهنة لا تتولد الا من الظلم والضغط على الحرية الشخصية كما سنوضحه فيما بعد

فهذه الحجة دليل على نفع التربية وفائدتها لا على ضررها . على ان زمام التربية ليس بأيدي الوالدين والمعلمين دائماً بل ربما كان بأيدي الخلطاء والمعاشرين أكثر مما هو بأيديهم . وهناك أمر آخر حقيق بالاعتبار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو ناموس الوارثة وكل ذلك سنفصله تفصيلا .

وأما قولهم : فموسى الذي رباه فرعون الخ البيت المار فهو من حجج الشعراء التي لا يتبعهم عليها الا كل غوي مبين . ويعنون بموسى الذي رباه جبريل السامري الذي اتخذ العجل لبني اسرائيل ودعواهم تربية جبريل له باطلة وافيكة انتحلها هذا الشاعر الغوي الذي جعلوه قدوة لهم ولعمري ان فيها غميزة بمقام روح القدس وأمين الوحي عليه السلام . والحق ان جبريل انما ربى موسى الرسول لأنه هو الروح الذي يؤيد الله تعالى به الرسل والانبياء لا الغواة الاشقياء (نعوذ بالله من غلبة الجهل)

وياليت شعري هل يقولون بأن تربية فرعون لموسى كان لها دخل في ارتقائه الى مقام الرسالة؟ لا وانما يحتجون بذلك على عدم وجود فائدة للتربية بالكلية وجهل هؤلاء الحمق ان الذين اجتنوا فوائد التربية من أهل أوربا وثبتت لديهم بالاختبار والمشاهدة اللذين هما أقوى الادلة والبراهين قد جعل بعض ملاحدتهم كلام هذا الشاعر شبهة على الطعن بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام وزعموا ان نشوءه في بيت الملك وتربيته في حضن السياسة والشريعة المصرية قد نبها فكرته للقيام بتلك الدعوة التي حرر بها أمته وان ماجاء به من الشريعة مقتبس من شريعة المصريين مع تنقيح وتحوير يناسب حال شعب اسرائيل (نعوذ بالله من هذا الضلال البعيد) وليس المقام هنا مقام رد شبه الملاحدة ولكن لابد من كلمة تحول دون تمكن الشبهة من فكر الجاهل وهي اذا جاز ان يأخذ موسى (عليه السلام) شريعته من شريعة المصريين فهل يجوز ان يكون ماجاء به من المعجزات التي ادهشتهم وابطلت السحر الذي كانوا يخدعون به الناس مأخوذاً من

المصريين؟ كلا بل سول لهم الكفر ما يأفكون

ثم ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للاول لا يتم الا به بل هو جزء منه لان التربية على ثلاثة ضروب تربية الجسم وتربية النفس وتربية العقل وهذا الاخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم لكننا نفرد للتعليم مقالات مخصوصة نبين فيها وظائف المعلم والمتعلم وكيفية التعليم وندخل في هذا البحث في المصنفات وأساليبها ونبدأ بالكلام على القسم المهم من التربية وهو تربية النفس المعبر عنه بتهذيب الاخلاق وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

التمدن

« لبعض فضلاء المصريين *) »

ما وصلت اليه أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا والاضطهادات والرزايا. ولا رقي اليه شعب الا وامن فاتلة الاعنات والاعتساف. وتحصنت اعماله من جائحة السلب والاعتداء. فصاحبه سر الساكن في منازل الرغد والهناء. واللابس حلة الاسعاد. نقول ولا مغالاة في الحق انه الضامن لتوطيد أركان العمران. والكفيل بتشييد دعائم الاجتماع. كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد من أفراد الكمالات من غير فرق بين ان يكون أدبيا او ماديا حسياً أو معنوياً فالتفنن في الصنائع فصل من فصوله. والتسابق في ميادين العلوم باب من أبوابه. والتجافي عن مواضع النقيصة جزء من أجزائه. والتحمل بالاخلاق الفاضلة نبذ من جواهره. فاذا لا بدع اذا قلنا ان صاحبه هو السعيد والواطىء

*) هذا في الاصل وهي من مقالات الاستاذ الامام في الوقائع المصرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بنعله غرف النعيم . جد في طلبه من ادرك نتيجته من الامم فجنى ثمره اليانع نراه يتقلب على بساط العز ويتدرج في معارج الاجلال والجمال عمرت ديارُه بعد ان كانت قاعاً صفصفاً بالابنية العالية وتزينت بالاسواق الفسيحة والصنائع العديدة وصارت محط رحال السياسة ومطمح انظار النبلاء . ضاق بسيطها عن القيام بنفقاته الواسعة فطار على جناح العلم يستطلع بقاعاً خربتها الجهالة وثلمتها يد البغي ليكون فيها هو الوارث بعد بنيها يستخرج منها الكنوز بحكمته . ويفجر منها الينابيع بقدرته. ليجني وأهلها الغارسون ويقضي وهم المطيعون . تسمع أهل تلك الديار صدى صوته في العشي والابكار، والغدو والآصال، ولكن يغالطون الحس ويكابرون بانكار البداهة ويسلون أنفسهم بان هذا الاجنبي لا سطوة له ولا حكم وانما هو غريب دعته الحاجة للتجول في البلاد لطلب الرزق ثم تحدثهم خواطرهم بانا ارفع شأناً من اولئك الغرباء واسبق منهم يداً في المدنية ولئن تأخرنا عنهم حيناً من الزمن لكنا لحقنا بهم في انتظام الهيئة وحسن السلوك وهذه قصورنا المشيدة وثيابنا الملونة وقدودنا المجملة واطعمتنا المتنوعة تشهد بانا قوم غمسنا في الترف وحفظنا بالثروة ونهجنا الصراط المستقيم .

يحسبون تلك الاوهام حقائق تجعلهم من ذوي النعمة واليسار والعزة والكمال اعتماداً على كونها سنة الامم المثرية والشعوب المتنورة . وأيم الله انها بالنسبة لاولئك البسطاء لداعية الفقر المدقع ومجلبة الشر وان هذه الصور الظاهرية التي يظنونها تمدناً كسحابة حشيت بالصواعق يتوهم الغافل من بريقها ولمعانها انها تأتي بوابل ينعش البقل ويحيي الموات ولكن اذا حل الاجل امطرت ما يذهب بالحياة ويبدد الاجسام وذلك لان الامم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتمدنة وان انفقت الاموال الكثيرة في تشييد القصور وتزيين الملابس وتحسين الاثاث الى غير ذلك من المصارف فانما يكون على نسبة مخصوصة من ايراداتهم الحائزين لها بالكد والتعب في ابراز المصنوعات الجميلة والمخترعات الجمة التي تكسب صاحبها في قليل من الزمن ثروة واسعة وقدراً رفيعاً . ولا يجيزون الانفاق من رأس المال الا اذا مست ضرورة لا محيص عنها ومع ذلك فنفقاتهم هذه لا تتجاوز حد اللزوم ولا تخرج عن دائرة احتياجاتهم فكلها مؤسسة على قاعدة جلب المصلحة ورفع الحاجة تدخل منزل الرجل منهم ترى غرفه ومخادعه مشغولات بامتعته وبضائعه ونقوده وليس فيه قدر شبر عمر لغير حاجة حتى حديقته ولا يشتري ثوباً له أو لزوجته وأولاده الا بقدر العوز وحلي آل بيته ثلاثة أرباعه من النحاس مهما كثرت ثروته وليس في اصطبله سوى عربة أو حمار للركوب لا يجمع بينهما الا نادراً وفرشه وغطاه لا يخرج عن نوعي القطن والصوف كثيابه. أما أهل تلك الديار الذين يزعمون انهم قوم متمدنون (وهم في ذلك مخطئون) فقد ركبوا الشطط وحملوا أنفسهم ما لا يطيقون من النفقات الباهظة يصرف الواحد منهم آلافاً من النقود في سبيل تعمير أرض فسيحة وربما كفاه ما لا يبلغ العشر من مساحتها ويفرشها من أعلى أنواع الفرش ويزينها بابهج اصناف الزينة فتبقى غرف المنزل بلا ساكن يعلو التراب على ما فيها من الاثاث والفرش المغشاة بالفضة والذهب حتى يبيدها وربما لا يستعملها مرة في العام . يتخم في اصبعه بما تجاوز قيمته عقد الالوف من الفرنكات ولدى زوجته من الالماس والجواهر ما يكفي ربحه لنفقات بيته أو يزيد لو استعمل ثمنه في شيء يتجر به (اذا كان ممن يفقهون) الى

غير ذلك من المصارف التي يضيق بنا المقام عن تفصيلها وما حمله عليها سوى الطيش والانهماك في الشهوات والسفه المفرط الذي بلغ مرتبة الجنون. فان رجعنا الى سيرهم في طرق جلب المنافع وتخفيف اتعاب المعيشة وتحسين وسائل الاكتساب رأيناهم واقفين على نقطة واحدة من آلاف من السنين . فايراداتهم الآن واقفة عند الحد الذي كانت عليه قبل ان كانوا يسكنون المنازل المصنوعة من اللبن الاخضر المفروشة بقصب (الحلفاء) المعرشة بقضبان شجر (الجميز) وجذوع النخل مكتفين من الثياب بما يستر البشرة ومن الطعام بما يذهب النهمة . فزروعاتهم الآن هي على ما كانت عليه في تلك الايام لم تتغير اشكالها ولم تبدل اصنافها ثم قد زادت حاصلاتها نظراً للتسهيلات التي اجريت في طرق الري « هذا في بلاد الكاتب » ولكن هذا النمو لا يعادل في الحقيقة الضعف الذي يلم بتجارة ابناء البلاد فقد كان يوجد قبل ورود الغريب اليهم في القرية الصغيرة اشخاص عديدون يتجرون في جميع اصناف المزروعات وغيرها من الاقمشة والمأكولات يربحون من ذلك مالاً عظيماً أما بعد ذلك فلا ترى بينهم الا يتضورن جوعاً ويئنون تحت احمال المشقات لبوار التجارة وكسادها واختصاصها بيد النزيل . ويتبع ذلك سقوط صنعة النجارة والحدادة والحياكة وغيرها من اصناف الحرف اللاتي نسختها متحدثات الامم المتمدنين . وربما ينتهي بهم الامر لو استمروا على الجهالة والسفه الى خلو أيديهم من الزراعة أيضاً لوجود من يحسنها سواهم . ولا عجب بعد هذا اذا رأينا هؤلاء السفهاء واقعين في وهدة الفاقة والاضمحلال يئنون تحت اثقال الديون التي تستغرق جميع ما في حوزتهم من الاملاك وهذا يجعلهم حقراء اذلاء في قبضة الدائن

الذي يكونون رهنوه املاكهم يتصرف فيهم بما يريد فيلاقون منه شيئاً لا تقدر على تحمله النفوس ولا تستطيعه الطباع وربما كان الدائن من سفلة قومه والمدين من اعيان بلاده ولا تغني عنه يومئذ قصوره العالية ولا ثيابه المزركشة ولا اثاثه الخزية والحريرية وهذا فضلاً عما يعتريه من البلبال وكثرة الوساوس والافكار يبيت ليله يتقلب على الفراش ولا تقلبه على جمر الغضا يقدر محصولات زراعته قبل بذرها وينسبها لمقدار المطلوب في ابان الحصاد فاذا وجدها على قدره حصل له نوع من الاطمئنان ذاهلاً عما عساه يحدث من الغرق أو الشرق أو الاندية المتساقطة من الجو حتى اذا حل الاجل ولم يجد لديه ما يفي بالمطلوب لاصابة الزرع باحد الاسباب التي ذكرناها ضرب كفاً على كف واسود وجهه وساءت حالته وتسول الناس ليكفلوه عند عميله (دائنه) اذا لم يف ما عنده بالرهن فلا يجد مجيباً ولا نصيراً .

لعمر الحق ان المفترش للحصا المتوسد لحجر الصخر المستكن في منازل الحيوانات المتكفف في معيشته خير من هؤلاء الناس الذين لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال (ومما يسؤنا ان نراهم اكثر من الكثير في بلادنا) أهذا ما حسبوه تمدناً وزعموه نعيماً مقيما . كلا بل هو الشقاء الابدي الجالب للفقر المدقع والعذاب الاليم .

هذه مشاربهم في أحوالهم المعاشية تحزن المحب وتفرح قلب العدو ولعلمنا بأن تلك الحالة لا يرضاها الشرع ولا القانون جئنا بهذه النصيحة آملين ان تنفع الذكرى فينتهج هؤلاء صراطاً مستقيما وما ذلك على الله بعزيز .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اصطلاحات كتاب العصر

« التعصب »

مادة عصب تدل في أصل اللغة على اللي والشد يقال عصب الشيء اذا لواه وشده وعصب الشجرة ضم ما تفرق من أغصانها وهو مأخوذ من الشد بالعصابة فمعنى عصب وتعصب في الحقيقة شد العصابة ومنه العصبة لقوم الرجل وقرابته وكان جمع عاصب (اسم فاعل) ككملة جمع كامل والعصبية نسبة للعصبة والتعصب ميل افراد العصبة بعضهم الى بعض وتشددهم في المدافعة عمن يتصل بهم بجامعة العصبية التي كان مناطها عند العرب القرابة والعشيرة

ولم يكن يطلق اسم التعصب على التشدد في الدين والغلو فيه بل كانت العرب تسمي هذا تحمساً وكتاب هذا العصر اشتهر بينهم اطلاق اسم التعصب على الافراط في التشدد في الدين الى درجة يؤذي بها المتعصب مخالفه فيه واجدر بهم ان يسموه تحمساً ولا ان الناقلين له عن لغات الافرنج الى العربية لم يتنبهوا للفظ التحمس . ويطلقون التعصب أيضاً على الميل للجنس والافراط في الحماية له والمحافظة على شرفه واتساع سلطانه وان غمط حقوق سائر الاجناس وهضم جانبهم ويخصون هذا الضرب من التعصب بالمدح والاطراء والاول بالغميزة والهجاء ولا يخفى ان الاوربيين سرى بينهم رأي نابليون في ان مناط الجنسية هو اللغة فكانت هذه الاصطلاحات وبالاً علينا نحن العثمانيين فاذا كانت سعادة الامة في وحدتها والوحدة لا بد لها من جامعة تلتف عليها عناصرها وترتبط بها اجزاؤها ولما لزم

فما هي الجامعة العامة والرابطة القوية لهذه الامة المختلفة في الاديان واللغات والجواب ان سعادتنا تتوقف على رفض مذهب الاوربيين في الجنسية واتفاقنا على ان يكون مناط جنسيتنا هو العثمانية ولا أظن أحداً من العناصر المستظلة بظل الدولة العلية العثمانية يرفض هذا ويرتضي اصطلاح أوربا في الجنسية وانا لبيان هذه المهمات ننشيء مقالة في التعصب والجامعة العثمانية في عدد تال (ان شاء الله)

الطبيب الدجال

« كلنا في الهوى سوا »

لدينا قصة نقصها على اخواننا الغربيين الذين يستوقفهم عند أرصفة الازبكية اجتماع بعض الجهلاء على أحد الدجالين أو العرافين فيقفون ساخرين منهم مستهزئين بالامم الشرقية كلها حاسبين انها على شاكلة أولئك الجهلاء

ذلك ان رجلاً دجالاً سيق الى المحاكمة في احدى عواصم أوروبا لاقدامه على التطبيب بلا رخصة من الحكومة . ولما وقف امام المحكمة سأله القاضي بصرامة ما حملك أيها الرجل على مخالفة القانون أما علمت ان العقاب مفروض على كل طبيب لا يكون في يده شهادة قانونية

فلم يحر الدجال جواباً ولكنه مد يده الى جيبه وأخرج منها ورقة كبيرة ثم قال

اليك شهادتي القانونية أيها القاضي فاني ممن اتموا دروسهم الطبية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في كلية باريس وقد نلت منها لقب دكتور في الطب كما ترى في هذه الشهادة . ولما ان انتهيت دروسي خيل لي اني بلغت أوج السعادة . فاستأجرت منزلا ونقشت على نحاسة وضعتها على بابه هاته الكلمة « دكتور في الطب » ثم لبثت انتظر وفود الناس علي للمعالجة فمرت الاسابيع والشهور ولم يأتني أحد مستشفياً . فصرت الى الفقر المدقع وعلمت ان تمسكي بتلك الشهادة لا يغني عني فتيلا . فألقيت بها الى جانب وكسرت الامارة النحاسية وتحولت الى منزل صغير وتظاهرت بمظهر الاطباء الدجاجلة فتقاطر علي الناس للاستشفاء من كل الجهات ووفد علي ذوو العلل فعالجتهم وربحت أموالا عظيمة . وما زلت على ذلك حتى ألقى الشرطي القبض علي ظناً منه انني من الدجالين . وقد علمتم ان الذي ألجأني الى اخفاء شهادتي ولقبي رغبتي في اكتساب ثقة الشعب فاطلب الآن الى المحكمة ان تحكم ببراءتي .

فادهش السامعين هذا الحديث وبرأت المحكمة الرجل بالحال .

قالت الجريدة التي نقلنا عنها هذه القصة . ان هذه الحادثة عار على العلم وعلى الشعب . قلنا عار على العلم لانه قد عجز الى الآن عن تنوير اذهان العامة واكتساب ثقتهم . وعار على الشعب لانها تدل على جهله وايثاره أوهام الدجاجلة على الحقائق العلمية الثابتة . والا فما معنى اعراض الشعب عن ذلك الرجل دكتوراً واقبالهم عليه دجالا . هذا ولا يبعد ان يفقد الرجل ثقة الشعب فيه حين يظهر لهم انه من الاطباء القانونيين واذا وقع ذلك كان منتهى الجهل والغباوة

ونتيجة ما تقدم انه لا يصح اطلاق القول في ذم شعب أو مدحه استناداً على اختبار بعض افراده . وان لنا ان نعير الغربيين بأولئك الاغمار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذين لا يقنعون الا بالدجاجلة اذا عبرنا بالاغمار الذين يجتمعون في ارصفة الازبكية لضرب الرمل واستنطاق الحصى فلا يسخرن أحد من بسطائنا وجهلائنا فان لهم في الامم الاوربية امثالا من البسطاء « وكلنا في الهوى سوا »

اه ماخترناه من الجزء الثالث

تبصرة وذكرى لقوم يعقلون

﴿ في بيان ان سعادة الامة في التهذيب ﴾

تلك آيات من الحكمة ، تتلى على مجتمع هذه الامة ، تنبه فكر الناسي ، وتبعث همة الآسي ، وشذرات من معدن العلم السماوي ، تهدي الى معمل الفكر الانساني ، ليصوغ منها عقوداً ، ويضرب منها نقوداً ، تحلى بها اجياد العقائل العواطل ، وتعامل بها أكف المثري والعائل . لعلهم يفلحون ،

اذا تأملت في تاريخ هذا الانسان رأيت ابناءه قد وقع منهم الاختلاف في كل شيء « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » اختلفوا في العقائد والمذاهب ، والعادات والمشارب ، وجرى هذا الخلاف منهم في مدركات الحس ، كما سرى في مدارك العقل ، ألا ترى ان بعضهم لا يستطيب أكل اللحوم ذوقاً ، كما ان بعضهم يستقبحها عقلاً ، اما سمعت ان منهم من انكر مظاهر الوجود وحقائق الاشياء زعماً انها خيالات وأوهام تتراءى للحواس ولا تحقق لها في نفسها . ومن رام حصر مواد الاختلاف والافتراق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بين الامم والشعوب . وبين الآحاد والاشخاص فقد رام عبثاً وحاول شططاً وفيما أشرنا اليه من النموذج بلاغ لقوم يفقهون

ان أصالة الخلاف والمنابذة وتمكنهما من نفوس افراد هذا النوع قد جعلته من الخواص اللازمة أو الفصول المقوّمة لذاته والمقسمة لجنسه بحيث يصح ان يعرف الانسان بانه (حيوان مخالف) أفلا يجدر بنا ان نعجب بعد هذا اذا رأينا جميع الناس أو أمة منهم قد اتفقوا على شيء وأجمعوا على شأن ؟ ألا يجب علينا ان نتهم ذلك الشيء فنتخذه ذريعة لجمع كلمتهم واتفاق وجهتهم الذي لا قوام لحياتهم على الوجه الذي ينبغي الا به؟ بلى ولكن انى لنا الظفر بهذه الرغبة المفقودة ، والاهتداء لهاته الضالة المنشودة ، وكيف لنا ان نطمع بما يكاد يخرج به الانسان عن كونه الخاص به فلا يكون انساناً ؟ ولعل قائلا يقول انا لا نرتاب في ان الاختلاف المطلق لا ينفك عن البشر لكن ذلك لا ينافي الاتفاق على بعض الشؤون فهل تعلم لنا شيئاً لا تخالف فيه ولا تنازع وهو مما يقصد بالعمل ويتوصل اليه بالسعي لنجعله معقداً للارتباط اذا أخذنا في الدعوة الى الاجتماع على أصول العلم الصحيح ؟ والجواب نعم ان هؤلاء الناس مهما تباينوا في الوسائل واختلفوا في المقاصد فهم متفقون على شيء واحد يصح ان يكون علة غائية لكل حركة وسكون يصدران منهم الا وهو التخلص من البؤس والشقاء والظفر بهناء العيش ونعمة البال عاجلاً أو آجلاً وان شئت قلت هو دفع المؤلم واجتلاب الملائم إما لنفس العامل فقط وإما له ولمن يشاركه في المنزل أو الوطنية أو الجنسية . وما تشاهده من سعي الكثير منهم الى ما يسلمهم للهلكة ويتجافى بهم عن مضاجع

الراحة والهناء فانما هو لإخطاء النهج وضلال الطريق القصد

يظهر هذا في سيرة المحكوم والحاكم، والجاهل والعالم، والتاجر والصانع، والحارس والزارع، والمنفق والممسك، والحليم والسفيه، والشجاع والجبان، والعفيف والشره، كل يسعى لما يرى ان فيه راحته ونعيمه. لكن ربما خفي على البعض في نحو الجاني والمنتحر ويظن ان الجاني على غيره بما يعود على ذاته بالضرر أو التلف والمتعمد ازهاق روحه بيده لا يقصدان بعملهما ما ذكر والحق ان عملهما هذا ليس الا تخلصاً من بلاء أو توصلاً الى نعماء بحسب ماوصل اليه الاجتهاد. فالانسان حريص كل الحرص على تحصيل العيشة الراضية والحياة الطيبة وكل سعي افراده انما هو في هذه السبيل. وكما يطرد هذا في سعي طالبي الحياة الدنيا يطرد أيضاً في سعي مريدي الآخرة فالصائم والقائم، والزاهد والعابد، انما يقصدون السعادة الابدية (٦٩ : ٢١ في عيشة راضية ٢٣:٢٢ في جنة عالية. قطوفها دانية ٩ : ٧٢ ورضوان من الله أكبر)

فقد تبين ان الناس متفقون مبدأ وغاية (في الجملة) وانما وقع الاختلاف بينهم في الافكار والاعمال (غالباً) من الخطأ في تصور الغاية بتصور ما ليس بسعادة سعادة الذي يتبعه الخطأ في اختيار المبدأ الذي يستند اليه العمل ـ كأن يتصور ان سعادته في تحصيل الثروة بأية وسيلة ومن أي طريق ويختار المبدأ لاكتساب المال السرقة وأمثالها ـ. وقد يكون تصور الغاية صحيحاً ويقع الخطأ في اختيار المبدأ فيختل العمل المترتب عليه ـ كأن يتصور ان السعادة في كسب المال من الطرق الشريفة في الوجوه المشروعة ويرى ان المبدأ لذلك صناعة الكيمياء (الكاذبة) بتحويل المعادن الى ذهب ـ

كما يجوز ان يعرقل العمل مع صحة المبدأ والغاية لعدم السلوك اليه من طريقه والدخول عليه من بابه — كأن يختار التجارة مبدأ للكسب وتهجم على العمل بغير علم باساليبها ولا اختبار أو لعدم توفر دواعي النجاح من الخارج أي من الامور التي لا تنالها يد الكاسب — كأن يختار التجارة أو الزراعة ويأتي بجميع اسبابها مستوفياً شروطها فتنزل بالزرع جائحة أو تذهب بالتجارة الانواء ويحطم السفين اعتلاج الامواج —

فعلينا ان نبحث في الطريق الموصل الى صحة الغاية ومبادئها وانتظام أمر العمل بحيث ينطبق على المبدأ ويؤدي الى الغاية من غير خطأ ولا ضلال، وبالنتيجة في انتظام أمر المعاش والمعاد بما تصل اليه يد الامكان ويدخل في اختيار الانسان . وهو اشرف الابحاث وأفضلها لا ينطق لسان ولا يجري يراع بأفضل من الكلام فيه . ولا غرو فان البحث فيما يوصل الانسان الى الراحة والهناء في الدنيا والمثوبة الحسنة في العقبى لهو أجل ما يتحدث فيه المتحدثون، ويتنافس فيه المتنافسون، فألق اليه السمع وأنت شهيد

أنت تعلم ان قوام الدنيا والدين بالعمل . والعمل لا يكون الا عن علم فالاحرى ان نقول بالعلم والعمل «وكلكم حارث - كاسب وعامل - وكلكم همام» يهم بالامر فيحله — لكن الهم مختلف والكسب مختلف « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ثم كل من القسمين طبقات فمنهم السائد والمسود والقوي والضعيف والغني والفقير الى غير ذلك من الطبقات المتقابلة . ولا سبيل الى المساواة بين الناس بجعلهم في رتبة واحدة كما ينزع اليه بعض الملاحدة في هذا العصر لان مبدع العالم تعالى فضل بعضهم على بعض في الرزق وغيره كما اقتضته حكمته في طبيعة الكون وجرت به

www.alukah.net　　إهداء من شبكة الألوكة

سنته « ولن تجد لسنة الله تبديلا » وانما السبيل الذي نقصده والطريق الذي توخينا البحث عنه هو الذي اذا سلكه العالم الانساني على اختلاف الطبقات وتنوع المراتب فاز بالعيشة الراضية والحياة الطيبة ألا وهو تهذيب الاخلاق وكماله لا يكون الا بالاستناد الى الدين المبين

التهذيب روح للوجود الطبيعي والمدني والسياسي تنال به هذه الوجودات سعادة الحياة وحياة السعادة شهد بذلك التاريخ الصحيح وصدقه العقل السليم . لا راحة لفرد من الاشخاص في نفسه الا بتهذيب اخلاقه في نفسه ولا في منزله الا بتهذيب أهل المنزل وعلى هذا النحو أهل المدينة والمملكة العظيمة . فكما ان التهذيب الشخصي هو مدار انتظام معيشة الشخص الواحد كذلك التهذيب العمومي هو مدار انتظام معيشة الامة كلها اذ ليس المهذب الا من يقوم بحقوق نفسه وحقوق غيره على صراط العدل المستقيم

واذا كان انتظام أمر الحياة معلولا لتهذيب الاخلاق فبالضرورة يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها اذ لا معنى لكونه معلولا الا هذا . ومن هنا نفهم السر في اختلال معيشة الافراد وانتظامها . وانفصام عرى الاتحاد بين الجماعات والتئامها . وصعود بعض الامم أعلى درج الارتقاء وهبوط بعضها الى أسفل درك الانحطاط . ووقوف البعض بين بين . تتنازعه عوامل العلتين . حتى يأتي أمر الله . واعتبر ذلك في سير الانسان . من يوم علم تاريخه الى الآن . تلقه صحيحاً مطرداً

ربما خفي على البعض الارتباط بين الاخلاق والاعمال فلم يسلم بان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسنها الحسن وقبحها القبح مع تسليمه بان سعادة الدارين انما هي بالاعمال وهذا الخفاء لا يكون الا عن الجهل بمعنى لفظ الاخلاق وما هو المراد منه فاذا فهم ما هو المعنى منه انجلى له ذلك الارتباط كالشمس ليس دونها سحاب

الاخلاق جمع خلق (بالضم) وهو صفة النفس كما ان الخلق (بالفتح) صفة الجسد وقد عرفه علماء التهذيب بانه هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى رويَّة ولا تفكر. وبيان ذلك ان مما يناجي الانسان به وجدانه ويوحي اليه احساسه انه لا يصدر عنه عمل اختياري فعلا كان أو تركا الا عن داعية من النفس وان جميع جوارحه مسخرة لخدمة سلطان الروح وان ارادة هذا السلطان التي لا ترد مهما جاءت بالجزم انما ينفذها الى الجوارح بريد الفكر والخيال . واذا دقق النظر رأى ان جميع ارادات السلطنة الروحية تصدر عن داعيتين الاولى انفعال وتأثر ـ كالجوع يدعو الى الاكل ـ ومحلها الطبع والثانية ادراك وتصور ـ كتصور خطر المرض يدعو الى تناول الدواء ـ ومستندها العقل وهاتان الداعيتان آلتان لتحريك الاعضاء للعمل والآلة لا تتحرك بنفسها واليد المحركة لهاتين الآلتين خلق حسن أو خلق سيء اذ لا تخلو الداعية للعمل من مصاحبة أحد أمرين اما الجور بتفريط أو افراط كالاكل زيادة عن الشبع شرها وجشعاً أو ترك الشبع وما يناسب المزاج من الطعام حرصاً وبخلا وكالامتناع عن شرب الدواء عند الاحتياج استبشاعاً لطعمه أو تناوله مع الاستغناء عنه وسوسة ووهما . وإما العدل باعضاء ما فيه المصلحة مع التجافي عن طرفي الافراط والتفريط . والجور والعدل جنسان لانواع الاخلاق الفاضلة والذميمة فاذا أصيب ملك الروح برزيئة

الجور فامر بما لا ينبغي ونهى عما ينبغي ورعية الجوارح لا مندوحة لها عن طاعته لا تلبث مملكة البدن ان يسرع اليها الفساد ويحل بها الدمار. وهذا واضح في مملكة البدن كما هو واضح في المملكة الظاهرية بل هو في مملكة البدن أشد وضوحاً وظهوراً. واما اذا تحلى بفضيلة العدل فيستقيم ولا ريب نظام المملكة وتبلغ من الانتظام غاية الكمال

من فهم ما قلناه من ان جميع الاعمال انما تصدر بارادة الروح عن داعيتين وان الروح في ذلك لا تخلو عن العدل أو الجور وعلم مع ذلك ان العدل هو غاية تهذيب الاخلاق بل هو المحور الذي تدور عليه سيارات الفضائل وان الجور ضده فهم وجه الارتباط بين الاخلاق والاعمال وأذعن لتفاوتها بحسبها ضعة وخسة ورفعة وشمما واذا لاحظ بعد هذا ماقلناه أولا من ان الحصول على رغائب الدنيا والآخرة موقوف على العمل لا على الاماني والتشهي انكشف له مقدار تأثير الاخلاق في المجتمع الانساني صلاحاً وفساداً

كيف لا يكون الخلق المهذب أفضل الفضائل وغاية الكمال وهو ثمرة الاديان السماوية والشرائع الالهية بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وقد علمت انه ثمرة العقل السليم أيضاً. ثم أكثر آيات القرآن الكريم جاءت في الحث على مكارم الاخلاق (كالعدل والقسط في الامور كلها والبر والاحسان لجميع الناس والصبر والحلم والحياء والرفق والرحمة والوفاء والصدق والتواضع والعفو والامانة وأمثالها) وينهى ويحذر من سفسافها (كالجور والجزع والغلظة والبخل والجبن والكبر والرياء والكذب والنفاق والخيانة والوقاحة والسفه

www.alukah.net

واشباهها) وفي حكاية أحوال المهذبين مع الثناء عليهم للاقتداء بهم وحكاية أحوال فاسدي الاخلاق في معرض الذم والتقريع للاعتبار والتنفير كما في قصص الانبياء عليهم السلام مع أممهم . وحسبك مع هذا قول عائشة (رضي الله تعالى عنها) في قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلقه القرآن . وقد ورد في ذلك من الاحاديث النبوية مالا يكاد يحصى فدونك حاصل بعضها . وهو ان أفضل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً . وان الخلق الحسن خير ما منح الله تعالى به العبد . وان أحب الناس الى النبي وأقربهم منه مجلساً احاسنهم اخلاقاً . وان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة (انظروا وتاملوا) وانه يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد . وان العبد ينال بحسن خلقه الدرجات العلى مع ضعفه في العبادة . وان سوء الخلق يقذفه في أسفل درك جهنم . وانه يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وان الله تعالى قوى الايمان بحسن الخلق وقوى الكفر بسوء الخلق . وابلغ من ذلك ماروي ان سائلا جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين يديه وسأله ماهو الدين فقال حسن الخلق ثم جاءه عن يمينه ثم عن شماله ثم من وراء ظهره وسأله هذا السؤال واجابه بهذا الجواب ويقرب منه ماروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق

فاذا تبين ان خلق الانسان هو دعامة سعادته وعمادها، وعليه مدار صلاح أموره الدينية والدنيوية وفسادها، فيجب على كل فرد من افراد الامة ان يوجه قواه العقليه والمالية للحصول على هذه المنقبة الكبرى، والسعادة العظمى، وعلى العلماء ان ينبهوا الاغنياء ويقتدوا معهم الجمعيات

للقيام بهذا العمل الجليل ولا عذر في التهاون والونى تلقاء هذا المقصد الشريف الا لمن تخبطه شيطان الجهل فأمسى لا يميز الكمال من النقص، ولا يزيل بين السعادة والشقاء . وكفاه عذره ذنباً . وأما من كان صحيح الفكر وتلا أو تلي عليه ماذكرناه ثم لم يعره اذناً صاغية، ولا نفساً واعية، رغبة في جمع الحطام، والتلذذ بالشراب والطعام ، واشتغالا بمفاخرة الاقران، وقهر الاخصام، فلتهنأ له الحياة الحيوانية « في ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يغني من اللهب ». والسلام على الانسانية وذويها، والفضيلة ومحبيها في كل زمان ومكان

سؤال وجواب

كتب الينا غير واحد يسألنا عما جاء في مقالة (القول الفصل) المدرجة في العدد الثاني من جريدتنا من تخطئة الذين يستعينون بالاموات من العلماء والصلحاء على قضاء المصالح واجتناء المنافع وقولنا في هذا البحث « ويستهضون هممهم بالصياح والصراخ وتقديم هدايا الفواتح » هل يتضمن هذا القول انكار كرامات الاولياء أو يلحق بهم شيئاً من الفضاضة وهل فيه انكار لقراءة الفاتحة أو غيرها من القرآن للاموات

والجواب

معاذ الله ان نرمي بكلامنا الى غمط حقوق أولياء الله تعالى أو ننكر ما أكرمهم الله تعالى به من فضله . وليس كلامنا ذلك في هذا الموضوع وانما هو بحث في الاسباب التي بها أناط الله تعالى أمور الكون ولا شك ان الاستعانة بالاموات على قضاء الحوائج ليس من الاسباب التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سنها الله تعالى لذلك ولم يقل أحد من أئمة الدين ولا من العقلاء بسببيته اما نبذ العقل له فظاهر واما رفض الشرع له فيدل عليه الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وأكتفي الآن من الكتاب العزيز بقوله تعالى « وإياك نستعين » فهو نص صريح في انه لا يستعان الا بالله تعالى، ومن السنة بخبر « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وأما سيرة السلف الصالح فلم ينقل عن الصحابة والتابعين انهم كانوا يأتون قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقبلون عتبة الحجرة ويقولون يا رسول الله اهلك فلاناً عدوي وانتقم من فلان ظالمي واهلك الدود من زرعي واشف داء قريبي وقرّب وصال حبيبي كما نراه ونسمعه من جهة العوام عند قبر السيد البدوي وقبر الامام الحسين (رضي الله تعالى عنهما) بل ان المطالب التي تصدر من هؤلاء تجاوز هذا الحد فانهم يطلبون من الاولياء المستحيلات العقلية والمنكرات الشرعية التي لا يجوز ان تطلب من الله تعالى . وقد أدى بهم الاهمال وعدم اشتداد العلماء بالانكار الى مروق بعضهم من الدين كما يمرق السهم من الرمية . وكل ذلك معلوم عند السائلين . واما قولنا « ويستهضون هممهم الخ » فهو تمثيل لحالتهم التي يحاكون بها معاملاتهم للحكام الظلمة بتقديم الهدايا والرّشى امام اغراضهم وقد فاتنا ان نقول ويرشونهم بالشموع والدراهم ونحوها . وأما مسألة قراءة الفاتحة ونحوها للاموات فليست مما نحن فيه وخلاف العلماء في انتفاع الاموات بالقراءة مشهور وأكثرهم يقول بعدمه لقوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » وبعضهم يقول باثباته لادلة قامت لهم ولا مجال هنا للجولان في هذه المسألة . ثم لا شك ان الاولياء والصلحاء لا يرضون بهذه المنكرات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي يأتيها المعتقدون بهم من غير علم ولا بصيرة سواء كانوا احياء أو أمواتاً ومن انتصر للشريعة فعرف المعروف وانكر المنكر فهو المحبوب المرضي عندهم وسكوت الكثير من المتسمين بسمة العلم والصلاح عن الانكار لزعمهم انه ادب مع الاولياء لا ينهض حجة على ان المنكر صار معروفاً فان إمامنا السنة والقرآن ، لا صاحب الاردان الواسعة والطيلسان ، وان لنا لعودة الى هذه المباحث نفصل فيها ما أجملنا، ونسهب بما أوجزنا، ولعل الموعد يكون قريباً

اه ما اخترناه من العدد الرابع

الموالد أو المعارض (*

(بمصر كثير من المضحكا　　ت ولكنه ضحك كالبكا)

نعم انها أمورٌ تضحك منها السفهاء ، وتبكي من عواقبها الالباء ، أمور ينظرها الضاحك كما ينظر الصور والتماثيل ، ويبصرها الباكي كما يبصر الصواعق والبراكين ، أمور تقام لها المعارض في كل صقع ، وتحشر اليها الخلائق من كل فج ، فيحضرها العالم والجاهل، والامير والصعلوك ، والغني والفقير ، والناسك والفاتك ، والواهب والسالب، وان شئت قلت يحضرها جميع الاصناف من جميع الطبقات ، وتعرض منهم وفيهم وعليهم المضحكات المبكيات ، معارض تقفل لاجلها بعض مدارس العلم. وتعطل لبعضها مجالس الحكم ،وتبطل الزراعة ويكون حيث تقام أعظم المساجد

*) نشرت في فاتحة العدد الخامس الذي صدر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٥ ـ ٣٠ مارث سنة ١٨٩٩